إلى كلّ فتاة تؤمن بالله

تأليف

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

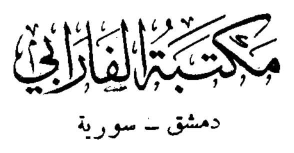

دمشق - سورية

الطبعة الاولى { ذي الحجة ١٣٩٢
كانون ثاني ١٩٧٣

الطبعة الثانية { ربيع ثاني / ١٣٩٣
ايــار / ١٩٧٣

الطبعة الثالثة { ربيع الاول / ١٣٩٤
نيسان / ١٩٧٤

الطبعة الرابعة { رجب / ١٣٩٥
آب / ١٩٧٥

قرار التداول رقم ٤٥١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافيء مزيده ، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وصل اللهم أفضل صلواتك على خاتم رسلك وأنبيائك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

واشرح اللهم صدري ، ويسر لي أمري ، وارزقني نعمة الاخلاص ، وقني فتنـــة النفس والهوى ، وجنبني مزالق الشيطان ، إنك نعم المولى ونعم النصير .

★

مقدّمة الطّبعةِ الثّانية

رب ضارة نافعة، ورب عمل استهدف شيئاً فأتى بنقيضه!.

كتب كاتب معروف، في مجلة ذائعة معروفة يدعو الى تحطيم ما أقامته الشريعة الاسلامية بين الرجل والمرأة من حواجز الخلطة وأقنعة الستر والاحتشام، وأخذ يتصيد لذلك من الادلة ما يطمع أن يكون فيه لبس وغموض، يصرفان الناس عما ينطوي عليه من دلالة الحق.

فكان من آثار ذلك ما لم يتوقعه الشيخ الذي كتب، ولا المجلة التي نشرت، وأذاعت.

بل كان أن تنبه اكثر المسلمين من ذلك، الى عظيم تقصيرهم وتهاونهم في جنب الله بصدد هذا الامر الخطير، والتفتت جمهرة كبرى من الفتيات والنساء المسلمات الصادقات،

الى حقيقة الحكم الالهي الثابت في حق المرأة ، مما يتعلق بسترها واحتشامها وعلاقتها بالرجال ، وراحت تتأمل في ذعر ووجل ، الارض التي تقف عليها ، وبعد ما بينها وبين ساحة الاسلام ودائرة الآداب الاسلامية .

ونشر الكتاب المسلمون ـ زادهم الله توفيقاً واجزل لهم المثوبة والاجر ـ في أكثر البلاد العربية بحوثاً ورسائل في بيان الحق الذي نص عليه كتاب الله ، وأوضحته سنة رسول الله ،والتقى عليه أئمة المسلمين، مما يتعلق بهذا الصدد ولم تكن رسالتي هذه إلا مشاركة بسيطة في ذلك .

وسرعان ما ظهر أثر الدعوة الصادقة الى الحق، تفاعلا معه ، وانصباغاً به ، وانعطافاً اليه .

وللحق دائماً شارة يعرف بها ، يتبينها كل مخلص في طلبه صادق في الاتجاه الى فهمه . وللباطل دائماً ميعة والتواء يتبينها كل ذي نظر وفهم ، مهما جاء مكتسياً به من أقنعة الحق والرشاد .

الحق يناجي العقل دائماً ، أما الباطل فإنما يحاول أن يتسلل خفية منه الى رغائب النفس !.. والحق يتعامل

مع النَاس بالادلة والبراهين الحرة ، أما الباطل فيستعين للوصول الى نفوس الناس بالكاريكاتير الساخر او التشويه الكاذب او الصور المستبشعة !.. والحق قد يأتي ثقيلا في وطأته على النفس ، ولكنه يتسم في مقابل ذلك بالترفع عن أي غرض خفي او حاجة مستكنة .اما الباطل فقد يكون خفيفاً في وطأته على النفس ، ولكنه يستبطن في مقابل ذلك غرضاً خفياً يستهدف اليه بكيد وخداع .

وأثقل ما في الباطل ان صاحبه يصطنع له من البراهين ما يعلم انه ليس إلا مصانعة وتلبيساً ، فهو لا يفتأ يصانع في الكلام ويشقق له المذاهب والاشكال ، طمعاً في ان يصدق الناس ظاهر ما يقول ويذهلوا عن باطن ما يهدف اليه .

يقول صاحب المجلة المذكورة ، دفاعاً عن صاحبه الشيخ فيما كتب يدعو اليه ، وتحليلا لأسباب الردود الكثيرة التي فندت اقواله ومفاهيمه العجيبة : «.. قصص بالطبع تشق على من نشأ بين الحجب الكثاف ، وعلى من آمن بقدم الحجاب » .

قال الرجل هذا ، وكأنه لا يعلم العكس ايضاً ، وهو أن القصص الدالة على مشروعية الحجاب تشق على من

نشأ في أجواء من الاختـــلاط الفاحش وآمن بأحقية ذلك وقدمه !..

ولم ينس الرجل ان يدعم دفاعه هذا ، بريشة الفنان الذي يستعين به لتجسيد أبرز الافكار في مقالاته، فاستخرج من خياله صورة فتاة اتخذت من اشـــكال الستر والصيانة أبشع ما تشمئز منه النفس وينبو عنه الذوق . وهو يعلم ، كما يعلم كل عاقل ، ان الفنان الذي فعل هذا ، يستطيع لو شاء ان يستخرج من خياله صورة فتاة اتخذت من اشكال هذا الستر اجمل ما تستسيغه الفطرة ويتفق معه الذوق .

يا أخي القاريء : ان الذي يملك من البيان ما يخيل به اليك ان العسل (وهو من ألذ وأنفع ما عرف من الطيبات) شيء بشيع مستقذر تعافه النفس ، بليغ في ارباب البلاغة والبيان،ولكنه بدون ريب يصرفك عن الحقيقة الى عكسها.

وان الذي يملك من الاخلاص لك ما ينبهك به الى ان في تلك الكأس البديعة من الشراب الرائق العذب، سماً ناقعاً قد يودي بحياتك ، يحرمك من لذة عاجلة ولا ريب . ولكنه بدون شك صديق مخلص يستأهل منك كل ود وتقدير .

★ ★ ★

وبعد ، فحسب الحق انتصاراً ، ان الآلاف التي طبعت من هذا الكتاب ، نفدت خلال الاشهر الاربعة من ظهوره، وان رغبة حقيقيـــة تلح في اعادة طبعه ، وان كل فتاة منصفة آمنت بالله ورسوله ، قد اعترفت بالحق الذي فيه وإن لم تكن متلبسة به ، وفندت ذلك الباطل وان كانت أسيرة له .

الدكتور محمّد سعيد رمضان البوطي

إلى كلّ فتاةٍ تؤمنُ باللهِ

وإنما أعني بالفتاة التي تؤمن بالله ، تلك التي أيقنت بوجوده إلهاً واحداً لا شريك له في ذاته وصفاته ، وأيقنت انه النافع فلا نافع سواه ، وانه الضار إذا شاء فلا ضار سواه . إليه مرجع الناس كلهم في يوم عظيم لا ريب فيه، يكشف فيه الحجاب عن كل غيب مستور وحقيقة خافية، يوم الحسرة والندامة لمن كان قد اغترّ بدنياه وفرط في جنب الله ، ويوم الغبطة والسعادة لمن كان قد فهم الدنيا على حقيقتها ،فاتخذ منها عوناً لسلوك السبيل الى مرضاة الله.

فلا جرم أني لا أعني بها تلك التي سمعت بالله ولم تفهم عنه شيئاً ، وورثت كلمة الايمان شعاراً على اللسان ولم تستيقن مضمونها عقيدة في الجنان . قد يتكرر اسم الله على لسانها في اليوم عشرين مرة ،ولكنها لا تتنبه لسلطانه وبالغ سطوته في الشهر او العام مرة واحدة

إذا ذكرت به او فكرت فيه لم تعلم عنه شيئاً سوى انه ـ كما يقولون ـ حقيقة خفية كبرى ، كالذي كانوا يسمونه الأثير،لا يدرون عنه شيئاً سوى أنه سر خفي من اسرار هذا الوجود . فلو كان لإيمانها بالأثير من سلطان على سلوكها ولون حياتها ، لكان لإيمانها بالله عليها مثل هذا السلطان .

مثل هذا الإيمان ، لا يسمى إيماناً إلا على سبيل المشاكلة والمجاز .

ومثل هذا الايمان لا يورث القلب اي خشية ، ولا يقود صاحبه الى اي اتجاه ، ولا شأن له بتقويم شيء من مظاهر الحياة والسلوك .

ومثل هذا الإيمان الرخيص منثور بكثرة في مجتمعات أوربا وفي ربوع امريكا ، وتراه يسير جنباً الى جنب مع كل ما تفور به تلك المجتمعات ، من الفساد الخلقي ، والتعقد النفسي والاستغراق المطلق في سكرة الحياة المادية الجانحة !.

★ ★ ★

فأنا إنما أتجه بحديثي في هذه الرسالة الى كل فتاة آمنت بالله إيماناً ارادياً حراً منبثقاً عن رضاها القلبي وشعورها النفسي ، وبيقيني ان مجتمعنا يفيض بكثير ممن يتمتعن بهذا الإيمان .

أتجه الى كل فتاة تؤمن في قرارة قلبها بالله هذا الإيمان لأقول لها :

ان أمر وجودنا في هذه الحياة جد وأخطر من الجد !..

فلا يحجبنك عن تصور عاقبتها اي لون من ألوان مغرياتها ، ولا ينسينك هوانها كثرة ما ترين من المتعلقين بها . ولا تنسي ان الناس انما يجتازون الى الله ، في هذه الدنيا بساعة امتحان ، سواء علموا ذلك أم جهلوا ، وربما طالت هذه الساعة او قصرت ، ولكنها على كل حال ليست أكثر من ساعة امتحان .

واذا كان الاجتياز بهذه الساعة الامتحانية قدراً مشتركاً بين الرجال والنساء على السواء ، فإن المرأة تمتاز عن الرجل بحمل عبء آخر شديد الخطورة في الدنيا وعظيم الأثر في العقبى !..

فالمرأة بالاضافة الى كونها تشترك مع الرجل في اجتياز هذه الساعة الامتحانية ، تعتبر مادة من اهم موادها الامتحانية ذاتها !..

ذلك لان الشهوات على اختلافها هي المنزلق الامتحاني الذي بسط الله به وجه هذه الدنيا . وانما المرأة ـ بتقرير الله تعالى وصريح بيانه ـ اول نوع من انواع هذه الشهوات . اوليس هو القائل :

(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) آل عمران : ١٣

فقد عد الله النساء في اول مراتب الشهوات التي وضعها زينة وابتلاء في طريق الناس . ولولا انها تفوق سائرها في الخطورة والاهمية ، لما جعل مرتبتها في الذكر قبلهن جميعاً .

واذاً ، فالمرأة في حياة الإنسان اخطر ابتلاء دنيوي على الإطلاق .

وسر ذلك، ان جميع الآثام التي حظرها الله تعالى على عباده، ليس بينها وبين الانسان اي انسجام فطري. فالظلم بأنواعه المختلفة محرم، ويعين الانسان على تجنبه ان الفطرة الانسانية تشمئز منه. وشرب الخمر محرم و ويهون من امر تحريمها ان الفطرة الانسانية الأصيلة تعافها، و كذلك السرقة والغش والغيبة والنميمة وبقية المحرمات الأخرى، كلها لا يتفق مع مقتضيات الفطرة الانسانية السليمة، ولا يجنح الى شيء منها الا من ابتلي بشذوذ او انحراف في طبيعته وفطرته لسبب من الاسباب التي قد تطرأ في حياة الانسان.

وانما يستثنى من هذا العموم شيء واحد فقط، هو الغريزة الجنسية في كل من الرجل والمراة، فهي على الرغم من كونها تدفع الى ارتكاب محظور، يعد في ذروة المحاظير الشرعية ـ ما لم ينضبط بحدود وقيود معينة ـ تعتبر من اخص مستلزمات الفطرة الانسانية واهم متطلباتها، ولا سبيل لأي انسان (ما دام انساناً طبيعيـــاً لا شذوذ فيه) الى ان ينفك عنها او يسمو فوقها.

ومن خلال هذه المقارنة تستطيعين ان تدركي بأن الشهوة الجنسية في الإنسان اخطر ابتلاء ديني في حياته. اذ في الوقت الذي تقف الفطرة الانسانية فيه عوناً على تطبيق حكم الله بالنسبة لمختلف المعاصي والمنكرات، فإنها تقف بالنسبة للشهوة الجنسية مثيرة لها، او عاجزة - في احسن الاحوال - عن ان تكبح لجامها او تقلل شيئاً من هياجها.

وبناء على ذلك فإن العلاج الإسلامي بالنسبة لسائر المعاصي يكمن في مزيد من الابتعاد عنها والاستعلاء فوقها. اما بالنسبة لامر الجنس خاصة فقد كان العلاج هو الارتواء منه وامتاع الغريزة به ولكن ضمن حدود مرسومة معينة لا يتجاوزها.

فهذا معنى قولنا: ان المرأة اخطر مادة امتحانية في حياة الرجل على الاطلاق.

وربما تقولين: ولماذا لا يعتبر الرجل ايضاً اخطر مادة امتحانية في حياة المرأة، ما دام الشعور الجنسي شائعاً بينهما، وبذلك يتساوى عبء كل من الرجل والمرأة وتتكافأ مهامهما ؟!..

والجواب : ان الفاطر الحكيم جل جلاله اقام فطرة المرأة على أسس نفسية جعلت منها مطلوبة اكثر من ان تكون طالبة ، فهي مهما استشعرت الحاحاً غريزياً في كيانها ، تظل ميالة ـ بدافع من عوامل نفسية اصيلة لديها ـ الى ان تتحصن بمركز الانتظار والاستعلاء ، وان تفرض على الرجل ظروفاً واسباباً تجعله يلح في طلبها والسعي وراءها ، وبذلك تكون المرأة فتنة للرجل اكثر من ان يكون الرجل فتنة لها .

وقد قرر رسول الله ﷺ هذه الحقيقة باختصار في قوله : (ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء) متفق عليه .

واذ قد فرغنا من ايضاح هذه الحقيقة ، فلتعلمي ان امر هذه الفتنة التي ابتلي بها الرجل ـ تشديداً وتهويناً ـ عائد اليك .

فالمراة تستطيع اذا شاءت ان تجعل من شأن نفسها بلاء صاعقاً للرجل ، لا يكاد يجد سبيلاً للنجاة منه . وتستطيع ان تجعل من شأن نفسها عوناً له على السير في طريق السلامة والنجاة .

وكم من أمة كانت ذات شأن وسلطان بين سائر الامم فتضاءل شأنها ثم تهاوى سلطانها ، بما شاع بينها من الإباحية والتفسخ الاخلاقي . ولم يكن عامل ذلك كله الا المرأة !. وما قصة انمحاق الدولة الرومانيـــة والمزدكية والحضارة الهندية عن الناس ببعيد .

ومن هنا كان اخطر الوظائف الاسلامية التي كلف الله بها المراة ، ان تغمد سلاح فتنتها امام الرجال ما استطاعت الى ذلك سبيلا حتى لا يقعوا في رهق من امر هذا البلاء او الامتحان .

وقد تم الإجماع على ان المرأة لا تحرز رضى الله تعالى عنها بعمل من الاعمال الصالحة ، كما تحرزه بالسعي في سبيل يعين الرجل على الاستقامة الخلقية وضبط نوازعه الشهوانية

ولا تتسبب لغضب الله تعالى عليها بعمل من الاعمال المحرمة كما تتسبب الى ذلك بالسعي في سبيل تثير في الرجل نوازعه الشهوانية وتقصيه عن اسباب الاستقامة والعفة الخلقية .

وما كان اكثر اهل النار النساء ـ باخبار النبي عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح ، الا لجملة عوامل من اهمها انهن لا يتقين الله تعالى في هذه الوظيفـــة الخطيرة التي اناطها الله تعالى بهن .

● ● ●

وانت تعلمين أيتها الاخت المؤمنة بالله ، أن اهم ما يخيف الغرب ـ بشطريه الاوربي والاميركي ـ من المسلمين انما هو اسلامهم !..

فلقد علم قادته ، نتيجة دراسات موضوعية مستوعبة ، ان النهضة الاوروبية لم تشرق في حياتهم الا يوم ان غربت فاعلية الإسلام وقوته من حياة المسلمين .

فلولا ما ساد العالم الاسلامي من ظلام الابتعاد عن منهج الاسلام وحكمه ، لما اشرق في العالم الاوربي ضياء

شيء من المعارف والعلوم ، ولما امكنتـه الفرصة من الاستفادة من ذلك .

ونتيجة لهذا اليقين المستقر في اعماقهم ، فإنهم لا يسعون للمحافظة على مكاسب نهضتهم هذه بوسيلة اهم واخطر من العمل الدائب ، بكل الوسائل الممكنة ، على ان يظل المسلمون بعيدين عن اسلامهم تائهين عن تاريخهم ومصدر أمجادهم ، وعلى ان يشغلوا عن جوهر الاسلام وحكمه بكل ما يصلح ان يكون تعويضاً لهم عن ذلك ..

وما اظنك بحاجة الى دليل يكشف لك عن صدق هذه الحقيقة ، فقد باتت همسات القادة والمفكرين الغربيين حول ذلك ، مسموعة في كل بيئة ومحيط ، بل لقد تحولت ـ لحسن الحظ ـ الى صرخات عالية مسموعة ، يستطيع ان يسمعها من كانت له اقل مشاركة في الثقافة المعاصرة .

ومع ذلك ، فلعل من الخير ان اذكرك بنموذج من هذا الهمس الذي انقلب اخيراً الى صوت واضح مسموع ، يتبينه كل مبصر بطبيعة العصر الذي يعيش فيه .

اليك هذه المقاطع من كتاب (الى اين يتجه الاسلام Whither Islam ?) الذي اشترك في تأليفه جماعة من المستشرقين المختلفي الاجناس ، واشرف على جمعه وتأليف بحوثه والتقديم لها والتعليق عليها المستشرق الانجليزي وأحد مستشاري وزارة الخارجية الانجليزية ه . ا . ر . جيب .

يقرر جيب في المقدمة الخطيرة التي كتبها لهذا الكتاب ـ وهي طويلة تبلغ مائة صفحة ـ ان العوامل الإقليمية المختلفة لم تستطع ان تؤثر في وحدة الحضارة الاسلامية او تنال منها على تعاقب الازمان وتباين الاصقاع ، مما جعل العالم الاسلامي كتلة سياسية خطيرة وجعل منه عالماً مترامي الاطراف يحيط بأوربا احاطة محكمة تعزلها عن العالم .

ثم يشرح كيف أن الغرب قد نجح في كسر هذا الطوق وتفتيت الحضارة الإسلامية والقضاء على وحدتها . ويقول في اعقاب ذلك : (وهكذا ، فإن الموازين الدينية والتعاليم الاخلاقية في الإسلام ، آخذة في التحول ، وان هذا التحول يتجه نحو تقريبه من الموازين الغربية في الاخلاق

التي هي في الوقت نفسه متمثلة في التعاليم الاخلاقية للكنيسة المسيحية) .

ويقرر جيب بعد ذلك ان النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة ، قد ترك في المسلمين ـ من غير وعي منهم ـ اثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين الى حد بعيد . ثم يعقب على ذلك بقوله : (وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركته محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار) .

ثم إن جيب يجزم بعد ذلك مغتبطاً بأن (العالم الاسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته ما لم يطرأ على الأمور عوامل ليست في الحسبان)

ولكنه يعود فيظهر فزعه من احتمال ظهور دفع اسلامي جديد يبطل مفعول هذه الثمرات الغربية كلها فيقول : (ولكن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو الى الدهشة . فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً ، قبل ان يتبين المراقبون من اماراتها ما يدعوهم الى الاسترابة في

امرها . فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة ، لا ينقصها إلا ظهور « صلاح الدين » جديد)[1] .

فماذا كان السلاح الأول الذي استعمله الغربيـــون لتفتيت الحضارة الإسلامية وتحويل الأخلاق الإسلامية عن وجهتها الإسلامية الأولى ؟

إن امضى سلاح شهره الغرب لتحقيق هذه الغاية إنما هو : عنصر المرأة .

فلقد علموا ، ما نعلمه نحن اليوم ، من ان الشبهات العقلية لا يمكنها ان تفعل في عقول المسلمين عشر ما يمكن ان تفعله في نفوسهم الإثارات الجنسية ، وإذا كان لا بد من شبه فكرية يطرحونها ، فلا مناص من ان يكون بين يدي ذلك ومن خلفه دوافع أو آثار شهوانية تجند له المرأة .

---

(١) من كتاب : الى أين يتجه الاسلام . وانظر الجزء الثـــاني من كتاب الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر للدكتور محمـــد محمد حسين . من ص ١٩٧ الى ٢١٣ .

فمن اجل ذلك يقوم الغزو الفكري للمسلمين ـ مهما تنوعت مظاهره ـ على عنصر هام لا بديل عنه ، هو المرأة بكل ما يمكن ان يستغل فيها من عوامل الفتنة والتأثير والإغراء ، ومن اسباب الإقصاء بها عن رعاية النشء والأسرة .

وما اظن انك بحاجة الى عرض الأدلة المسهبة على هذه الحقيقة ايضاً . فقد باتت دلائل ذلك مكشوفة واضحة يعرفها ويتناقلها كل من كانت له مشاركة بسيطة في ثقافة العصر ومعرفة طبيعته .

ومع ذلك ، فلأضع بين يديك هذا النموذج من كلام المبشر والمستشرق المعروف « جسب » :

(إن مدارس البنات في البلاد العربية هي بؤبؤ عيني . لقد شعرت دائماً بأن مستقبلنا في سورية إنما هو بتعليم بناتها ونسائها . لقد بدأ نشاطنا في ذلك على ضعف ، ولكن ها هي ذي قد اثارت اليوم اهتماماً شديداً في اوساط الجمعيات التبشيرية) [١] .

---

(١) التبشير والاستعمار لمصطفى الخالدي وعمر فروخ : ٨٧

ولا اظن ان اي إنسان وقاه الله من لوثة الجنون في عقله ، يمكنه ان يتصور بأن مدارس البنات هي بؤبؤ عيني جسب ، لشدة ما يغار على مصلحة البلاد الإسلامية او العربية ولشدة ما يهمه شأنها ويخلص في حب الخير لها !.

لقد كانت بؤبؤ عينيه ، لأنه كان يدرك مدى ما للمرأة من اثر في تقويم حياة الجيل او إفسادها . وإذاً فلا بد من الإعتماد على مدارس البنات والسيطرة من هناك على تربيتهن وتوجيه سلوكهن .

ولكن كيف اتخـــذ قادة الغزو الفكري من عنصر المرأة سبيـــلاً لتحقيق الغاية التي كانوا ، ولا يزالون يستهدفونها ؟

والجواب باختصار : إنهم ساروا الى ذلك في خط

معاكس لكل ما قد قضى به الإسلام من حكم في حق المرأة !..

فمما قضى به الإسلام في حق المرأة ان تتمتع بالصيانة والستر ، وان لا تبدي شيئاً من مفاتنها امام الرجال . فكان سبيل هؤلاء هو العمل على ابعادها ما امكن عن قيود الصيانة والستر، ودفعها ما امكن الى ان تبرز مفاتنها المختلفة في سائر الأمكنة والاسواق والمجتمعات . واستعانوا لتحقيق ذلك بكل منافق عليم اللسان ، مستعد لان يبدل كلام الله وحكمه لقاء عرض من الدنيا قليل .

ومما قضى به الإسلام، ان لا تتبرج المرأة المسلمة كتبرجها الجاهلي المعروف ، وان تقر في بيتها وتبذل قصارى جهدها في سبيل انشاء اسرة صالحة وتربية ذرية طيبة . فكان سبيل هؤلاء هو العمل على ان لا تطيق المرأة قراراً في بيتها وان تحمل من اعباء الحياة ووظائفها المختلفة ما لا يدع لها مجالاً للنظر في بيتها او تربية اولادها . واستعانوا لتحقيق ذلك بالتركيز على اضعف نقطة يعاني منها المسلمون أخطر

عقدة مستحكمة . فلقد راحوا يروجون بأن سر تخلف المسلمين ـ وهو اهم ما يشغل بالهم ـ إنما هو عجزهم عن التصنيع ، وان التصنيع لا ينهض الا على اكثر قدر من الايدي العاملة ، وانمـــا يكون ذلك بإشراك المرأة في العمل كما راحوا يكررون ويعيدون على مسامع المسلمين بأن العالم الغربي انما يتقدمهم بشيء واحد هو التنبه الى هذه الحقيقة . فهم يستغلون سائر طاقاتهم الإنسانية بدلاً مما يفعله المسلمون من اهدار نصفها !..

ولقد انطلت هذه الحيلة ، التي باتت اليوم قديمة ومكشوفة ، على عقول طائفة كبيرة من ناشئة المسلمين وقادتهم . حتى باتوا يتصورون حقاً بأن سر تخلف المسلمين انما يكمن في هذا الحجاب الذي تسدله المرأة على وجهها او تفيض منه على مفاتنها ، وانه ليس بيننا وبين ان نلحق بركب المدنية الحديثة ونتساوى مع من حولنا من شعوب

العالم الراقي الا ان نضاعف ايدي الرجال العاملين بمثلها من ايدي النساء العاملات .

ولقد بات الحديث بعد ذلك عن حكم الإسلام في لباس المرأة وعملها وتعلمها ، مثار استهجان او محل استشكال ، بل بات ذلك دليلا عند هؤلاء الناس على ان الإسلام انما يشد اهله الى الوراء بدلاً من ان يدفع بهم الى التقدم والصعود في مدارج الرقي .

وزاد البلاء خطورة ما ظهر حول وخلف هؤلاء الناس، من متلاعبين بنصوص الشريعة الاسلامية واحكامها ، ابتغاء الحصول على مأرب دنيوي ، او اتقاء خسارة مركز او زعامة او منصب ؛ وانما نصوص الشريعة الفاظ كألفاظ القوانين ، فكما ان المحامي الذي يطمع في كسب مالي معين لا يعجزه شيء عن ان يؤول المواد القانونية ويتلاعب بألفاظها ودلالتها ، فكذلك العالم الذي لا يبالي بغضب الله تعالى وأليم عقابه لا يعجزه شيء عن ان يؤول نصوص الشريعة ويتلاعب بألفاظها ودلالاتها .

ولقد كان من نتيجة هذا البلاء ان ازداد سواد التسر الذي خطط له الغرب ، بواسطة من ضللتهم فتاوى هؤلاء المتلاعبين ، فانحرفوا عن المنهج الإلهي بنية حسنة ، وتاهوا عن الصراط السوي من وراء تقليدهم لهؤلاء الكبراء . فقد ظنوا انهم انمـــا يدلونهم على صراط الله ، فاذا هم يقودونهم الى مهاوي الشقاء الابدي الاليم !.

وبعد ، فهذه هي المشكلة ، لخصتها لك في هذه المقدمة التي كان لا بد منها . والقصد ان نتجه بعد ذلك الى سبيل منطقي قريب لحلها .

وانما السبيل المنطقي الى ذلك ان نبين حكم الله تعالى في لباس المرأة وعملها وتعلمها ، نقياً عن زيادات المتزيدين ، صافياً عن شوائب المبدلين او المتلاعبين . والمفروض انني انما اخاطب في هذه الرسالة ـ كما قلت ـ كل فتاة تتمتع بإيمان صادق بالله . ومن ثم فهي لا تبغي مزيداً على معرفة حكم الله عز وجل بدقة ويقين في هذا الموضوع .

ومع ذلك فإنا اذا انتهينا من ذلك ، عرضنا لمختلف المشكلات والعوائق التي تختلق وتوضع في طريق تنفيذ هذا الحكم الالهي الخطير .

هل هي حقاً مشكلات ؟ ، وهل حقاً يترتب على الاخذ بحكم الله في هذا الامر قيام سد منيع بيننا وبين الانطلاق صعداً في مدارج التقدم والرقي ؟.. ولسوف نعالج الموضوع ـ بإذن الله ـ بتجرد خالص ، وتحرر كامل عن اي لون من ألوان العصبية ، حتى اذا تجلى لنا الحق ، لم يحل بيننا وبين الاخذ به اي مانع .

ولا ضير علينا ، بعد ان نعلم حكم الله تعالى ، من ان نتلمس نتائج تطبيق هذا الحكم من حيث كلا جانبي النفع والضر . فإن اكتشاف نتائج النفع فيه يزيد ايماننا يقيناً ويكسبنا العبرة المفيدة بالنسبة لسائر الاحكام الالهية الاخرى ، كما ان اكتشاف اي نتائج ضارة فيه ـ على فرض ذلك ـ يعطينا صلاحية النظر والاجتهاد في الامر ، فان حكم الله تعالى لا يمكن ان يتلبس به اي ضرر او مفسدة حقيقية ، ومن قواعدنا التشريعية الكبرى قول رسول الله ﷺ : (لا ضرر ولا ضرار) .

ورجائي منك أيتها الأخت المؤمنة ان تتلقي ما اقوله لك بميزان من الوعي الفكري السليم ، والنظر العقلي المتحرر عن اي تبعية او داعية من الدواعي الشهوانية ـ فان الشهوة ما ينبغي لهـــا ان تتحكم بناصية البحث وبميزان من الرقابة الحية لإيمانك بالله عز وجل .

نسأل الله تعالى ان يقينا من شرور انفسنا ، وان يوفقنا لاستعمال عقولنا ، وان يجنبنا مزالق الشياطين كلهم. وان يفتح بيننا وبين قومنا بالحق انه خير الفاتحين .

★ ★ ★

وَهٰذا هو حُكم الإسْلام

وأعوذ بالله ان اقول : حكم الإسلام ، ثم أخلط به شيئاً من رأيي ، او بعضاً مما قد تشتهيه نفسي . وأعوذ بالله من ان ألبس على الناس ما لا يمكن ان يلتبس على الله ، فأجمل قولاً تنزع اليه نفسي بزينة زائفة من الدين لا يرضى عنها ربي !..

إن الكاتب يستطيع اذا شاء ان يخلط بين رأي باطل تشتهيه نفسه ، وحق واضح قد قضى به ربه ، ولكنه انما يخلط بذلك على الناس او فئة منهم . اما في علم الله عز وجل ــ وهو الرقيب على كل شيء ــ فإن الحق لا يعتريه بذلك اي تبدل ولا اختلاف . وكل ما قد يكون جناه الكاتب بتلبيسه الذي اقدم عليه ، انه تحمل اوزاراً

مما قد اقترفه الناس في جنب الله ، اعتماداً على ما قد افتاهم به من الحكم الذي خيل اليهم انه حكم الله .

وما اغنى الكاتب المؤمن بالله واليوم الآخر عن ان يذلل عنقه لأوزار يتحمل عن الناس تبعاتها ، ليجد يوم القيامة اليم نتائجها وسوء مغباتها . وما اغناه عن ان يجعل نفسه واحداً من اولئك الذين يدأبون على تضليل الناس عن معالم الحق الإلهي ، حتى اذا اجتمع الناس لليوم الذي لا ريب فيه ، واكتشف هؤلاء المضللون عظم الخديعة التي أبعدوا بها عن الحق ، اتجهوا الى ربهم يقولون :

(ربنا إننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنـــاً كبيراً) الأحزاب : ٦٧ و ٦٨ .

أجل ، فأنا أعوذ بالله من ان أزعم للناس اني احدثهم عن حكم الإسلام في شأن من شؤون المرأة ، ثم أنحاز بهم الى سبيل هوى من أهواء النفس او غرض مما قد تستدعيه مصالح الدنيا ، فأكون بذلك واحداً من هؤلاء الكبراء

الذين يقفون غداً امام محكمة الله عز وجل ، وقد تعلق بأذيالهم المغرورون والمخدوعون من الناس ، يطلبون لهم من الله عز وجل مزيداً من العذاب ، ومزيـــداً من اللعن والعقاب .

وقائع الاحوال ليست دليلا على أي حكم شرعي :

وإنما يؤخذ حكم الإسلام من نص ثابت في كتاب الله تعالى ، او حديث صحيح من سنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، او قياس صحيح عليهما ، او اجماع التقى عليه أئمة المسلمين وعلماؤهم .

فلا جرم ان التصرفات الفردية من آحاد الناس ، او ما يسميه الأصوليون بـ « وقائع الأحوال »[1] لا يعتبر

(١) وقائع الاحوال وقضايا الاعيان هي عبارة عن مواقف فردية وقعت في عصر التشريع ، على خلاف مقتضى أدلة العموم كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بردة وقد أراد ان يضحي بعناق : تجزئك ولا تجزىء أحداً بعدك . وكتزويجه أحد أصحابـــه فتاة بما معـــه من القرآن ، أي بدون مهر من المال العيني ، ــ

أساساً او دليلاً لأي حكم شرعي صحيح ، سواء كان هؤلاء الآحاد من الصحابة او التابعين او ممن دونهم . بل المقطوع به عند المسلمين جميعاً ان تصرفاتهم هي التي توزن ـ صحة وبطلاناً ـ بميزان الحكم الإسلامي ، وليس الحكم الإسلامي هو الذي يوزن بتصرفاتهم ووقائع أحوالهم .

ولو كان لتصرفات آحاد الصحابة او التابعين ، مثلا ، قوة الدليل على حكم شرعي ، دون حاجة الاعتماد على دليل آخر ، لبطل ان يكونوا معرضين للخطأ والعصيان

ـ وكاعتباره شهادة خزيمة بمنزلة شاهدين ، وكمسحه صلى الله عليه وسلم على عمامته في الوضوء . فهذه وأمثالها لا يقام عليها أحكام عامة ، لانها وردت متأثرة بأسباب استثنائية خاصة . فبقيت محصورة في نطاق الحال الذي ظهرت فيه ، ولم يجز أن يمتد لها ذيل من التشريع العام المتجاوز لطبيعة تلك الحال . ومن أبرز قرائن وقائع الاحوال أنها تأتي معارضة لعموم حكم كلي لا شبهة فيه ، من أجل سبب استثنائي لو نقبت عنه لاكتشفته (راجع الاحكام للآمدي : ٢ / ٧٠ والموافقات للشاطبي : ٣ / ٢٦٠ والمستصفى للغزالي ٢ / ٦٨) .

وكانوا مثل رسول الله ﷺ معصومين عن الوقوع في اي خطيئة او انحراف . ومعلوم بالبداهة ان الأنبياء والرسل هم وحدهم المعصومون من الزلل والآثام ، واما من دونهم من الناس فما منهم إلا من رد ورد عليه ، وحق عليه قرار الله تعالى : كل بني آدم خطاء .

وبناء على ذلك فانما يكون السبيل الى معرفة حكم الله تعالى في موضوع المرأة ، بتلمس قرار كتاب الله تعالى وسنة رسول الله في ذلك ، فاذا انتهينا الى هذا القرار ورأيناه مؤيداً بفهم العلماء العاملين من أئمة الكتاب والسنة فذلك هو الحكم الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يؤثر عليه بنسخ او تحوير او تقييد أن نجد آحاداً من الناس يخالفونه ، من اي طبقة او سوية كانوا .

كل ما الوجه والكفين من المرأة عورة :

وقد كانت المرأة في العصر الجاهلي ، تحرص على إظهار

زينتها امام الرجال ، ولكنها لم تكن تبالغ في ذلك كشأن المرأة في الأمم الاخرى .

وقد كان الجيد والنحر وجمة الشعر من أبرز مفاتنها عناية وظهوراً أمام الرجل .

فلما جاء الإسلام ، وتنزلت احكامه الشرعية تترى ، نزل في حق المرأة ولباسها قوله تعالى :

(يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيماً) .

ونزل ايضاً في حقها قوله جل جلاله :

(وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابنـــاء بعولتهن او إخوانهن او بني إخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت أيمانهن او التابعين

غير أولي الإربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات الذساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

ونزل ايضاً خطاباً لنساء النبي ﷺ ، ولكن بأسلوب يعم سائر النساء المسلمات عن طريق القياس الجلي او ما يسميه الاصوليون بـ « تنقيح المناط » قوله عز وجل :

(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) الاحزاب : ٣٢ .

فطبيعة هذه التعاليم ، كما ترين ، عامة لسائر المسلمات ، وليس فيها ما يدعو الى ان تكون خصوصية لنساء النبي عليه الصلاة والسلام . وإنما جاء الخطاب لهن خاصة ، تشريفاً لهن ، وإلماحاً بأنهن اولى النساء بالانصياع لهذه الاوامر والتعليمات .

فقد دلت الآيات بصريح البيان ، على ان ذلك التبرج الذي كانت قد تعودت عليه المرأة العربية في جاهليتها ، قد اصبح امراً محظوراً وسلوكاً محرماً ، وان عليها ان لا تكشف من زينتها ومفاتنها امام الغرباء إلا ما يظهر منها بطبيعة الحال وتقع في حرج وضيق من محاولة ستره .

وتلاحظين كيف وضع البيان الإلهي هذا الحكم ضمن اطار بارز من الخطورة والاهتمام ، عندما عدد اصناف الاقارب والناس الذين يستثنون من عموم هذا الحكم ، صنفاً صنفاً ، وبتفصيل لا مزيد عليه ، رغم ما يغلب على الاسلوب القرآني من الاعتماد على الإجمـــال في بيان معظم الاحكام الشرعية ، وترك التفصيل فيه لبيان السنة المطهرة !.

فمن اجل ذلك ، اجمع أئمة المسلمين كلهم ـ لم يشذ عنهم احد ـ على ان ما عدا الوجه والكفين من المرأة داخل تحت وجوب الستر ، اذ الظاهر الذي قد تتحرج المرأة من ستره ، لا يعدو ـ مهما اردنا التساهل ـ ان يكون الوجه والكفين على حالة طبيعية لا زينة فيهما ..

وقد امر الله بستر ما عدا هذا الظاهر من جيد ونحر وشعر وغير ذلك بنص قاطع صريح . فلم يقع بين أئمة المسلمين ـ من ذلك ـ في اي عصر من العصور خلاف في انه يحرم على المرأة ان تكشف امام الاجانب عنها ـ وهم من عدا الاصناف الذين استثنتهم الآية ـ شيئاً غير الوجه والكفين من اي جزء من اجزاء جسمها .

تحقيق العلماء في الوجه ذاته :

الا ان محل البحث والنظر فيما بينهم ، انما كان في امر الوجه نفسه . وقد انقسم العلماء في ذلك الى فريقين :

فأما الفريق الاول فقد فسر ما ظهر من الزينة في الآية المذكورة ، بزينة الثوب واطراف الاعضاء وما قد يبدو معها كالخاتم ونحوه .. فبقي الوجه والكفان داخلين في عامة ما يحظر كشفه ، وعليه فلا يجوز للمرأة ان تكشف حتى وجهها وكفيها امام غير من استثناهم الله تعالى

من اصناف الاقارب ومن يلوذ بهم[1] .

ويستدل اصحاب هذا التفسير ، وهم الحنابلة وبعض الشافعية ، على ما ذهبوا اليه بالادلة التالية :

١ ــ قول الله تعالى : (واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) . والآية وان كانت نازلة في حق نساء النبي ﷺ ، الا ان الحكم ليست له اي خصوصية بهن والعلة فيه موجودة في جميع النساء . فالفرق بينهن وبين سائر النساء في ذلك ساقط عن الاعتبار او ان الحكم شامل لجميع النساء عن طريق القياس الجلي ، وهو ما يسمى ايضاً بالقياس الاولي .

٢ ــ ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في باب ما يلبس المحرم من الثياب : (لا تلثم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس ثوباً بورس ولا زعفران) ومثله ما رواه مالك

---

(١) انظر تفسير البيضاوي عنــد تفسير قوله تعالى : إلا ما ظهر منها ، والمغني لابن قدامه ٧ / ٢٣ ومغني المحتــاج في شرح منهاج الطالبين ٣ / ١٢٨ .

في الموطأ عن نافع ان عبد الله بن عمر كان يقول : (لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين) . فما معنى نهي المرأة ، عن ان تتبرقع او تنتقب اثنــاء الإحرام بالحج ، لو لم تكن في عامة احوالها الاخرى مبرقعة ؟.

٣ ـ ما رواه البخاري ايضاً عن ابن عباس ان النبي ﷺ اردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه ـ وفيه قصة الخثعمية التي وقفت تسأل رسول الله ﷺ ـ فطفق الفضل ينظر اليها ، فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام بذقن الفضل فحول وجهه عنها . قالوا : فلولا ان وجهها عورة لا يجوز نظر الرجل الاجنبي اليه ، لما فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام ذلك بالفضل ، اما المرأة ذاتها فقد كان عذرها في كشفه انها كانت محرمة بالحج .

٤ ـ ما رواه مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (اياكم والدخول على النساء) فقال رجل من الانصار : يا رسول الله افرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت . والحمو اخو الزوج وما اشبهه من اقاربه .

فلولا ان المرأة بمجموعها عورة بالنسبة للأجانب من الرجال ، لما اطلق النبي ﷺ النهي عن دخولهم عليهن ، اذ النهي يشمل مختلف ما عليه المرأة من حالات ، ما دامت بادية الوجه كما هو شأن كل امرأة في بيتها . ولقد انسحب الحكم كما نرى حتى على اخي الزوج فلا يجوز له هو الآخر ان يدخل على امرأة اخيه . ولو كان الوجه غير عورة لاستثنى – تسهيلاً للاحماء – ان تكون المرأة ساترة لما عدا الوجه والكفين من اجزاء جسمها .

٥ – ما اخرجه عبد الرزاق في مصنفه وغيره عن ام سلمة رضي الله عنها قالت : لما نزلت آية الحجاب خرج نساء الانصار كأن على رؤسهن الغربان لسترهن وجوههن بفضول اكسيتهن ، والا لم يتأت تشبيههن بها .

٦ – ما اخرجه مسلم وغيره عن انس بن مالك ان ام سليم صنعت حيساً (نوع من الحلوى) وارسلت به الى رسول الله ﷺ بمناسبة زواجه من زينب بنت جحش ،

فدعا رسول الله ﷺ اصحابه ، وجلسوا يأكلون ويتحدثون ورسول الله جالس ، وزوجته مولية وجهها الى الحائط الى ان خرجوا .

والحديث واضح الدلالة على المطلوب . لا يقال : ان هذا قد يكون حكماً خاصاً بزوجات الرسول عليه الصلاة والسلام . لان الفرق بين زوجات النبي ﷺ وسائر النساء المسلمات ، فيما يتعلق بالحجاب ، انما هو فرق زمني فقط ذلك ان مشروعية الحجاب تمت في حق نسائه عليه الصلاة والسلام اولاً ، ثم انها عمت سائر النساء بعد حين .

واذا كان وجوه نساء النبي ﷺ عورة بالنسبة للأجانب من الرجال ـ وهن امهاتهن كما تعلمين ـ فلأن يكون ذلك من بقية النساء عورة ايضاً ، من باب أولى .

٧ ـ ما رواه ابن هشام عن ابن اسحاق في سبب اجلاء النبي عليه الصلاة والسلام ليهود بني قينقاع عن المدينة ، من ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها (ما يجلب الى السوق

للبيع) فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست الى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت . فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها ، فلما قامت تكشف بعض جسمها فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين فقتله .. الخ . فلولا ان الحجاب الشرعي سابغ للوجه ، لم يكن اي دافع الى ان تسير هذه المرأة في الطريق ساترة وجهها ، ولولا انها قد فعلت ذلك تديناً لما وجد اليهود ما يدفعهم الى مغايظة شعورها الديني بذلك .

واما الفريق الثاني : فقد فسر « ما ظهر منها » بالوجه والكفين ، اذ هما الظاهر الذي قد تتحرج المرأة من استدامة ستره ، وهما الظاهر الذي تكشفه المرأة في الصلاة ، فينبغي ان يكون الحكم في النظر مثله .

ولكن اصحاب هذا التفسير ـ وهم المالكية والحنفية

وبعض الشافعية ـ [1] شرطوا لجواز كشف المراة وجهها ان لا يكون ذلك في حالة تثير الفتنة بأن تكون مزينة او بارزة الجمال ، وان لا تظهر امام فساق يغلب على الظن انهم لا يغضون من ابصارهم كما امر الله ، بل ينقادون لدوافع أهوائهم وشهواتهم . فإن فقد احد الشرطين كان عليها ان تستر وجهها درءاً للفتنة بالنسبة للحالة الاولى وازالة للمنكر الذي تسببت به في الحالة الثانية . وانما يكون ازالة المنكر في مثل هذه الحال بأن تمنع الفساق من النظر اليها ، او بأن لا تخرج من بيتها الى هؤلاء الناس او بأن تحجب وجهها عنهم ، وهو ايسر الاسباب الثلاثة .

وعلى هذا ، فإن كل ما ورد من الاحاديث الصحيحة الدالة على الانتقاب ، مما قد احتج به الفريق الاول ، يفسر بحالة الخوف من الفتنة ، او يفسر بالرغبة في الحيطة والورع . والراجح أن اكثر نساء الصحابة والتابعين فيهن

(١) انظر احكام القرآن لابي بكر بن العربي : ٣ / ١٣٥٧ وأحكام القرآن للجصاص : ٣ / ٢٨٩ والدر المختار في باب الحظر والاباحة : ٥/٢٤٤ من حاشية ابن عابدين .

من الورع وحب الحيطة في دين الله ما يدفعهن الا الانتقاب.

محل الاجماع ونتيجة الخلاف :

فقد تحصل من هذا الكلام ان أئمة المسلمين كلهم قد اجمعوا على ما يلي :

اولاً ـ لا يجوز ان تكشف المرأة ، امام غير الذين استثناهم الله عز وجل ، شيئاً اكثر من وجهها وكفيها .

ثانياً ـ لا يجوز لها ان تكشف الوجه والكفين ايضاً ، إذا علمت ان حولها من قد ينظر اليها النظر المحرم الذي نهى الله عنه ، بأن يتبع النظرة النظرة ، ولا تستطيع ان تزيل هذا المنكر الا بحجب وجهها عنه . وعلى هذه الحالة يحمل ما نقله الخطيب الشربيني عن امام الحرمين من اتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات الوجه[1].

وقد صرح بهذا القيد القرطبي ، فيما نقله عن ابن خويز منداد من أئمة المالكية : ان المرأة اذا كانت جميلة وخيف

---

(١) مغني المحتاج : ٣ /١٢٩ .

من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك[1]

وقال صاحب الدر المختار من الحنفية: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال ، لا لأنه عورة ، بل لخوف الفتنة ، ولا يجوز النظر اليه بشهوة[2].

وهكذا ، فقد ثبت الاجماع عند جميع الائمة (سواء من يرى منهم ان وجه المرأة عورة كالحنابلة ومن يرى منهم انه غير عورة كالحنفية والمالكية) انه يجب على المرأة ان تستر وجهها عند خوف الفتنة بأن كان من حولها من ينظر اليها بشهوة . ومنذا الذي يستطيع ان يزعم بأن الفتنة مأمونة اليوم ، وانه لا يوجد في الشوارع من ينظر الى وجوه النساء بشهوة ؟

ثالثاً : اتفقوا على جواز كشف المرأة وجهها ، ترخصاً ، لضرورة تعلم او تطبب او عند اداء شهادة او تعامل من شأنه ان يستوجب الشهادة .

فهذه النقاط الثلاث محل اجماع لدى الائمة وعامة الفقهاء.

---

(١) تفسير القرطبي : ١٢/٢٢٨ .

(٢) الدر المختار على هامش ابن عابدين : ١/٢٨٤ .

ثم انهم اختلفوا فيما وراء هذه الاحوال ، وهو ان تكون المرأة بادية الوجه في مجتمع عام وليس ثمة من يتعمد النظر اليها بريبة ـ وهذا فرض وهمي اليوم ـ فقد ذهب البعض ، كما رأينا ، الى انه لا حرج عليهـــا في ذلك ، وذهب آخرون الى انه يجب عليها ان تستر وجهها مطلقاً .

★ ★ ★

هذا هو حكم الإسلام في لباس المرأة . اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين كلهم ، معتمدين في ذلك على نصوص واضحة صريحة في كتاب الله تعالى ، وأحاديث ثابتة صحيحة من سنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

فإذا عثرنا بعد ذلك على وقائع وتصرفات فردية لبعض نساء الصحابة او التابعين او غيرهم ، تخالف هذا الذي اجمع عليه الائمة مما دل عليه صريح الكتاب والسنة ، فإنها وقائع محجوجة بالحكم المبرم الذي دل عليه اجماع الائمة وصريح الكتاب والسنة ، وحاشا ان يكون حكم الله هو المحجوج بها .

واذا تبين لك هذا ، فلتعلمي ان مصادر الشريعة الإسلامية لا تحدد شكلاً او نوعاً معيناً من اللباس الذي يجب ان تلبسه المرأة . وانما المطلوب ان يكون سابغاً لجسمها ، لا يبرز شيئاً من مفاتنه ولا يحكي اي جزء من اجزائه ، وكمال الثوب طولاً ان يصل الى الكعبين ، فإن ارتفع عنـــه كره وان كان القدمان مستورين بجورب سميك .

عملها وتعلمها :

اما ان تباشر المرأة عملاً ما ، تستدر به الرزق لنفسها او لأسرتها ، او ان تعكف على علم من العلوم المفيدة تدرسه وتتعلمه ـ فليس للإسلام فيه الا الحـــكم العام الذي يشمل المرأة والرجل على السواء .

فإن عثرت على حالة ينهى فيها الإسلام المرأة عن ان تعمل خارج بيتها او تتعلم ، فذلك لما قد يصحبه من ارتكاب لبعض المحاظـــير ، كأن لا تلتزم احكام الستر والاحتجاب عن الاجانب من الرجال على النحو الذي اوضحناه ، او كأن يكون عملها يستلزم قطع او تضييق

سبيل الاكتساب على الرجال ، فيترتب على ذلك نشوء اضطراب في نظام المسؤوليات المنوطة بالرجال بالنسبة لقضايا الاسرة خاصة والمجتمع الإسلامي عامة .

والمسألة في ذلك محكومة بالقاعدة الاصولية المعروفة : (ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وما يترتب عليه محرم فهو محرم) .

فالعمل مهما كان شريفاً ، يغدو غير شريف ، اذا استدعى من المرأة ان تخرج عن سلطان سترها ، وان تتبرج امام الاجانب من الرجال . بل هو محرم بالنسبة لكل من الرجل والمرأة معاً ، اذ هو كما يستلزم من المرأة الوقوع في اثم التبرج امام الرجل ، فهو يستلزم من الرجل الوقوع في اثم مخالطتهن ودوام النظر اليهن ، والتعرض للافتتان بهن .

والعمل مهما كان مباحـــاً في اصله ، يغدو بالنسبة للمرأة غير مباح ، اذا تبين انه يخلق اضطراباً في نظام

المسؤوليات الاجتماعيـــة التي وزعها الاسلام بين الرجال والنساء .

وبيان ذلك ان الشارع جل جلاله نظم اللقاء الجنسي بين الرجل والمرأة عن طريق اخضاعه لضوابط الزواج وتنظيماته الشرعية . ولا يمكن ان يتحقق هذا النظام الا بإيجاد وضع يجعل من احد الجنسين غاية مطلوبة فقط ويجعل الجنس الآخر طالباً لتلك الغاية ساعياً وراءها . فمن خلال هذا الوضع يمكن فرض النظام المذكور ، واقامته جسراً وحيداً لا بد من عبوره والخضوع لكل ما فيه من ضوابط وحدود ، بحيث لا يصل الباحث الى غايته من الجنس الآخر الا من هذا الطريق وحده .

فأيهما ينبغي ان يكون المطلوب .. الرجل ام المرأة ؟

ان الوضع السليم الذي يضمن تحقيق النظام المذكور ، محصور في ان تكون المرأة هي المطلوبة دائماً وان يكون الرجل هو الطالب لها والساعي وراءها .

ذلك لان المرأة اذا كانت في وضع يجعلها هي الساعية للبحث عن زوج لها ، فقدت بذلك اخص سماتها الفطرية التي تتعلق بالجنس . فقد اقام الله تعالى تكوينها النفسي والجسمي على نحو يجعلها متعة للرجل اكثر من ان يكون الرجل متعة لها ، بل جعل سعادتها في شعورها بأنها كذلك وبان الرجل منساق للخضوع لهذه المزية التي فيها . ولذلك كان الشأن في عبارات التودد والاستعطاف ان تاتي ـ في اعم الاحوال من جانب الرجل ، وان تكون من المرأة تجاه ذلك دلال لا يصرف وتاثر لا يترامى او يتهالك .

هذا شيء .. والشيء الثاني أن ضوابط التنظيم المذكور تفقد سلطانها ، بل وجودها ، اذا وجد الرجل ان المرأة هي التي تسعى اليه وتتعرض له هنا وهناك . فاي امر يدعوه الى ان يلتزم تجاهها بالشروط والقيود الشرعية التي المحنا اليها ، وهي تسعى اليه بالعرض والرجاء ؟.. ومتى كان قانون العرض والطلب متفقاً مع هذا المنطق المقلوب ؟!..

في اكثر انحاء اوربا نشات اوضاع فرضت على المرأة ان تكون هي الطالبة للزوج والباحثة عنه في كثير من الاحيان ، فما الذي ترتب على ذلك ؟

من السهولة بمكان ان تعلمي الجواب ، عندما تعلمين كم تسقط المرأة هناك من سقطة ويلهو بها من رجل ، ريثما تعثر على الزوج الذي هو الزوج الحقيقي !..

الذي ترتب على ذلك ، ان الرجال نظروا ، فوجدوا فرص المتعة الخلفية الميسورة قد كثرت امامهم ، بفضل بحث النساء عن ازواج لهن في المجتمع . واعجبهم الوضع .. فازدادوا تثاقلاً وزهداً في الزواج ، لتزداد النساء بحثاً عنهم وسعياً وراءهم .

وهكذا كان سعي المرأة في البحث عن الزوج ، اهم سبب من اسباب فقدها له !..

وانتشرت موجة الاباحية لعدة عوامل ، ولكن هذا العامل اهم واحد فيها . وتفسخت الاسرة وتهاوت اركانها

لعدة عوامل ولكن ما من شك ان هذا العامل اخطر واحد فيها ، وفقدت المرأة هناك سعادتها ، اذ فقدت اجمل وأغلى احلامها ، وهو الانضواء في عش زواج هانىء سعيد لعدة اسباب ، ولكن ما من ريب ان هذا السبب كان في مقدمتها .

اذاً ، ما من ريب ان ضبط اللقاء الجنسي بين الرجل والمرأة بنظام الزواج الشرعي ، لا يتم الا في اوضاع تفرض على الرجل ان يكون هو الطالب للزوجة ، وتفرض على المرأة ان تكون هي المطلوبة .

فما هي الاوضاع التي تضمن تطبيق هذا الغرض ؟..

ليس ثمة اي ضمانة لذلك الا بواسطة تطبيق سياسة الشريعة الاسلامية في نظام الانفاق !.. فالرجل هو المسؤول عن نفقة المرأة سواء كان والدها او زوجها او اي قريب آخر لها . والمرأة تاخذ مهرها كاملاً من الزوج نحلة كما امر الله عز وجل ، وليس للزوج ان يفرض عليها اي تعاون او شركة فيه ، فضلاً عن ان يحملها ـ بطريقة ما ـ

على ان تتقدم هي اليه بالمهر . ونتيجة لذلك كان نصيب الرجل من الميراث ضعف نصيب المرأة منه ، لان نصف نصيب الرجل من ذلك ، او اكثر ، يقتطع منه تحت سلطان هذا النظام الالهي ، ليضاف الى نصيب المرأة .

واثر هذا التنظيم المالي في حراسة المبدأ المذكور واضح جداً .

فإن الشان ـ في المسلّمات الاقتصادية ـ ان الذي يطالب الآخر بشيء ، يقر بحاجته اليه ، وهذا الاقرار يعتبر حجة للآخر في ان يطالبه بالاجر او القيمة . ومعنى ذلك ان الطالب للشيء هو الذي يبذل الثمن .

فإذا علم كل من المرأة والرجل ان الثاني هو المطالب بنفقات الزواج من مهر وانفاق ، لم يكن للمرأة من سبيل عندئذ للتقدم والطلب ، لان طلبها يعني ـ حينئذ ـ اعلان حاجتها الى الزوج ومهره معاً ، وهو وضع معكوس في ميزان تبادل المنافع وقانون العرض والطلب . وهكذا

ينحصر السعي المادي لاقامة ركن الزوجية في الرجل فقط، وعندئذ يسهل حصره في سبيل الضوابط الشرعية التي ألمحنا اليها.

اما اذا اصطلح المجتمع على ان تكون نفقات الزواج من مهر وغيره شركة بين الزوجين او حقاً على الزوجة وحدها كما هو الحال في بعض جهات اوربا، فإن الامر عندئذ ينعكس بالتدريج: يتثاقل الرجل عن المبادرة الى الزواج، ويخفي رغبته في ذلك، طمعاً في عروض افضل!. وتزداد المنافسة بالمقابل من الطرف الآخر، اذ كان سبيل الفوز بالزوج هو الغنى الاوفر والعروض الافضل، ثم تتوالد بعد ذلك النتائج السيئة الاخرى(١).

(١) لسنا نقصد بهـذا، التحذير عن أي تعاون مادي، يقوم بين الزوجين في سبيل حيـاة رغيدة لهما، بل نقول: إن هذا التعاون مكرمة تدعو اليها الشريعـة الإسلامية وتحبذها، ولكنها تدعو اليها في النطاق الأخلاقي وفي حدود الرغبة الشخصية التي تتم بعد توفر المحبة والتالف بين الزوجين، لا على الصعيد القانوني الملزم، وفيما بين شخصين ليس بينهما من الصلة إلا فكرة الاستفادة والانتفاع.

وكاني بك تستعجلين قائله : لقد ابتعدنا كثيرا عن اصل البحث ، وانما كان اصل الكلام في ان عمل المرأة مهما كان مباحاً في ذاته فانه يغدو محرماً اذا كان من شانه ان يخلق اضطراباً في ميزان المسؤوليات الاجتماعية الموزعة بين الرجل والمرأة . فما علاقة هذا الحديث الطويل كله بعمل المرأة ؟ : واين هو اثر عملها في خلق الاضطراب المذكور ؟

ونقول : ان نتيجة حديثنا الطويل الذي ايقنا فيه بان المرأة ينبغي ان تظل مطلوبة فقط وان الرجل يجب ان يكون هو الطالب لها ، وان ضمان ذلك لا يكون الا بان يكون الرجل هو الباذل والمنفق ـ نتيجة هذا الحديث هو ان نتساءل : فكيف السبيل الى ان يظل الرجل هو المتحمل لعبء هذه النفقات ، والى ان لا تستدرج المرأة الى مشاركة الرجل فيه او ان لا تقوم في ذلك مقامه ؟

والجواب : ان الضمانة الكبرى لبقاء الامور على نهجها السوي ، هي ان لا تنزل المرأة الى ميدان العمل من

اجل الرزق الا في اضيق الظروف والحالات الضرورية .

لان المرأة عندما تشترك مع الرجل وتنافسه في تربية المال وجمعه ، انما تضيق من سبيل ذلك على الرجل بلا شك . فتضطرب بذلك الصلة بين التزاماته المادية ومجالاته الكسبية ، بسبب ضيق هذه الثانية وبقاء الاولى على ما هي عليه ، فتتولد من ذلك مشكلة بل معضلة ، سرعان ما يبدو لارباب النظر السطحي ان لا حل لها سوى جعل المرأة شريكة مع الرجل في غرم النفقات كما اصبحت شريكة له في غنيمة الكسب !.

واذاً فإن اشتراك المرأة مع الرجل في الكسب المطلق (اي دون تقييد بحالات الضرورة) هو اهم الدوافع الى اشتراكها معه في نفقات الزواج ، وهو بالتالي اهم الدوافع الى ان يتحول الامر عن سبيله الطبيعي ، فتصبح المرأة (بالتدرج) هي الباحثة عن الزوج والمبادرة الى طلبه . وعندئذ فقط ستفقده، لتجد في مكانه خليل اليوم واليومين، بل صاحب الساعة والساعتين !..

* * *

ونتيجة لهذا كله نقول : ان عمل المرأة في اكتساب الرزق ، يعد في جوهره من المباحات التي لا فرق فيها بين الرجل والمرأة . ولكنه يكتسب بعد ذلك حكم الحرمة اذا ترتب عليه محرم . وانما يترتب عليه ذلك من احد وجهين :

الاول : ان تفقد المرأة بذلك قدرتها على الاحتجاب عن الرجال على النحو الذي امر الله تعالى به ، وتشيع بينها وبينهم الخلطة الفاحشة .

الثاني : ان يتسبب عن ذلك الاضطراب الذي شرحناه فيختل بذلك الميزان الشرعي الذي يسير عليه قانون الزواج ، فتنشا عنه المخاطر المخيفة التي المحنا اليها . فعند ذلك ينقلب المباح الى محرم لا مرية فيه ، اذ الامور بنتائجها القريبة او البعيدة لا باشكالها وصورها الجامدة .

شُبَهٌ عِلميَّة مُصطنَعة

ان فيما اوضحته لك من حكم الله تعالى في لباس المرأة وتعلمها وعملها ، مقروناً بالادلة الواضحة التي لا مجال فيها للبس ولا تاويل ـ للكفاية وبلاغاً ، لمن صدق الله عز وجل في طلب معرفة حكمه ، وصدق مع نفسه ومع الناس في الايمان بان القرآن كلام الله عز وجل وان محمداً نبيه المرسل الى العالم كله بشيراً ونذيراً .

اما من كان على شعبة من النفاق في ايمانه بالله ، او في طلب معرفة حكمه ، او في السعي لنيل مرضاته ، فإنه يستطيع ان يقحم في كل سطر مما ذكرناه شبهة واشكالاً ، ويستطيع ان يستثير من بطون كتاب الله

ومن منثور سنته ما قد يتعلق به في اثبات عكس ما قلناه ، وان كان يعلم عند نفسه انه كاذب في ذلك !.

وصناعة التاويل في الكلام والتلاعب بالالفاظ ليست عسيرة ، اتقنها بنو اسرائيل من قبل لنيل عرض من الدنيا قليل ، ويتقنها كثير من المحامين اليوم لجمع مزيد من البضاعة نفسها ، كما يتقنها كثير من المشتغلين ببضاعة العلم الشرعي ، ليتجملوا بذلك امام من يملكون – في الظاهر – رعايتهم ودفعهم في سلم المناصب الدنيوية الفانية .

يقول مام الشاطبي في كتابه « الموافقات » بعد ان استعرض صوراً ونماذج من حيل المبطلين في التلاعب بنصوص الادلة والتحايل على قواعد الاحكام :

(ولذلك لا تجد فرقة من الفرق الضالة ، ولا احداً من المختلفين في الأحكام يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة ، وقد مر من ذلك امثلة . بل قد شاهدنا ورأينا من الفساق من يستدل على مسائل الفسق بادلة ينسبها الى الشريعة المنزهة . وفي كتب التواريخ والأخبار

من ذلك طرف ما اشنعها في الافتئات على الشريعة . وانظر في مسألة التداوي من الخمار [١] في درة الغواص للحريري واشباهها ، بل فد استدل بعض النصارى على صحة ما هم عليه الآن بالقرآن ، ثم تخيل فاستدل على انهم مع ذلك كالمسلمين في التوحيد ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

---

(١) حاصل المسألة أن حامد بن عباس (وزير المقتدر العباسي) سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار ، وكان علق به ، فأعرض عنه ، فسأل قاضي القضاة أبا عمرو فقال : قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال النبي عليه الصلاة والسلام : (استعينوا في الصناعات بأهلها) والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال :

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس في الإسلام فقال :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

فأسفر وجه حامد بالجواب ، والتفت الى علي بن عيسى قائلاً : ما ضرك لو أجبت كما أجاب قاضي القضاة وفد استظهر بالآية والحديث ؟! اهـ . ولا ريب ان هذا مجون دنيء من قاضي القضاة شأنه شأن المجون الذي يصدر عادة عن كثير من أمثاله من الفساق والمستهترين .

فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون ، وما كانوا عليه في العمل به فهو احرى بالصواب ، واقوم في العلم والعمل [1] .

* * *

ولكن ليس معنى هذا الذي نقوله ، ان الطالب لمعرفة الحق يضيع بين تلبيس المخادعين ونصيحة العلماء الصادقين ، فان الصادق في طلب الحق لا يعدم ان يجد دلائل الحق في محكمات النصوص الواضحة النيرة ، فان تاه عن معرفة هذه النصوص لم يعدم ان يجد دلائله فيما اجتمع عليه السلف الصالح خلال القرون الماضية ، فان لم يعلم شيئاً عن اخبار السلف ، لم يعدم ان يجد دلائله في استقامة العالم الذي يفتيه وحسن سيره وسيرته بين الناس وثباته امام مزالق الفتن والأهواء . فان عدم من حقائق إسلامه ما يبصره بشيء من هذا كله ، فان بلاءه من نفسه قبل ان يكون من مكيدة المخادعين او مكر المضللين . إذ لا يكون المسلم مسلماً حقاً إلا بعد ان يكون على شيء من البصيرة بدينه بحيث تشير له ــ ولو من

(١) الموافقات للشاطبي : ٣/٧٦ و ٧٧ .

بعد ـ الى معالم الحق ، وتحذره ـ ولو في الجملة ـ من مهاوي الضلال . وهو مكلف باكتساب هذ القدر من البصيرة الإسلامية ، اذا كان حقاً يريد لنفسه الإسلام والخضوع من خلاله لحكم الله .

واذا كان هذا هو واجب كل مسلم يمر فوق قنطرة هذه الحياة ، فان واجب من استودع الله لديهم شيئاً من خصائص العلم او طاقة التنبيه والبيان ممن يبايعون الله على الصدق معه والنصيحة لدينه ، ان يعينوا عامة المسلمين على استحصال هذه البصيرة الإسلامية العامة ، وان يكشفوا لهم عن زغل العلم ومكائد المضللين كلما انتصب امامهم شيء من ذلك على الطريق .

اجل ، إن على شتى فئات المسلمين وطبقاتهم ان يتعاونوا لمعرفة الحق ، وان يأخذوا بعضهم بحجز بعض اتقــــاء الإنزلاق في غضب الله والإنحراف الى شباك الشياطين فبذلك ينعزل المضللون وتتعرى مكائدهم فلا ينخدع بها احد .

وما احسب ان ثمة موضوعاً يلقي فيه المضللون بكل

ثقلهم ، ابتغاء تلبيس الحق بالباطل وتضييع معالم الحكم الإلهي فيه ، اخطر وأهم من موضوع المرأة . وما رأيت مجلة من المجلات او صحيفة من الصحف التي لا شأن لها بالإسلام من قريب او بعيد ، إلا وتلبس مسوح الدين وتتربع على اريكة الإرشاد الديني عندما يتقدم اليها من جاء يحمل لها شبهة فيما يتعلق بشأن المرأة التقطها من بعض كتب التاريخ او اختلقها اختلاقاً من بعض مصادر التشريع ، حيث تنشره باسم الدين وهديه في صفحاتها الأولى ، حتى اذا جاء من ينبهها الى انها شبهة ملفقة او اكذوبة مدبرة ، أسرعت فخلعت مسوحها وركلت منبر الإرشاد الديني بقدمها ونسيت تبجيلها المصطنع للرسول إذ كانت تنسب اليه الأضاليل ، وتصامّت وتعامت عن تذكرة الحق بعدما اتخذت من نفسها مطية ذلولاً لمكيدة باطلة صلعاء [١] .

---

(١) تلقت مجلة العربي ، فيما نعلم ، عشرات الأبحاث والكلمات، مختصرة ومطولة، كلها تعقيب على مقال الشيخ احمد=

فما هي هذه الشبه ؟

إنني سأستعرضها معك ايتها الأخت المسلمة . فان في معرفتها على حقيقتها ما يزيد إيمانك بالحق الإلهي الذي اوضحناه ، وما يزيدك حذراً من كيد المضللين واكاذيب

= حسن الباقوري الذي اوهم الناس في تلك المجلة إباحة اختلاط النساء بالرجال على نحو ما يتم في مجتمعنا اليوم . والكثير من هذه الكلمات يتسم بالموضوعية واللطف والإبتعاد عن التجريح الشخصي . ولكن كبير القائمين على هذه المجلة رفض ان يدرك قيمة شرف الكلمة وحرية الفكر ، فأصم أُذنيه وأَعمى عينيه عن جميعها . فعل ذلك حرصاً منه على الخديعة التي طرحها الباقوري بين الناس ان لا تنكشف فيظهر الحق الأبلج من ورائها ! .

والشيء الذي غاب عن كبير القائمين على هذه المجلة ، ان الناس رجلان : رجل منحط في شهواته واباحيته ، فهو لا ينتظر فتوى الباقوري ولا إذاعة « العربي » لها ، وآخر اسلم وجهه لله فهو حريص ـ ما امكنه الأمر ـ على السير في سبيل مرضاة ربه ، فهو لا يمكن ان يولي وجهه شطر «العربي» او الباقوري = ليأخذ حكم الله منها .

المؤتفكين ، وإن في ذلك ايضاً ما يغنيك ببصيرة فقهية ثاقبة تميز لك الحق عن الباطل حتى وإن جاء هذا الثاني - في بعض الأحيان - مقنعاً بشارات الدين ورسومه .

★ ★ ★

الشبهة الاولى : حديث تعلق به بعضهم لإثبات ان المرأة لها ان تختلط بالاجانب عنها من الرجال كما تشاء ودون ان تتكلف لذلك اي ستر او احتجاب . وهو ما رواه مسلم

= لقد رحب الرجل بمنطق التمويه فأطلقه بين آلاف الناس ، وضاق ذرعاً بصوت الحق فأجهد نفسه في خنقه واطراحه ، ولكن لا التمويه عاش تمويهاً ولا الحق مات مختنقاً.

مئات الناس في كل بلد مسلم او سعوا التمويه صفعاً وتجريداً بمنطق الامانة والعلم ، حتى تعرى فوق منبره ومات ، ثم اجتمعوا على الحق إعلاء وإبانة وتصعيداً ، حتى عاد اقوى مما كان في النفوس واوضح مما كان في العقول .

والخسارة ، انما هي خسارة ذي شيبة تذكره بالموت الذي يكمن وراء اذنه ، والرب الذي يرقب دقائق انفاسه ، ولكن لغو الدنيا لا يكاد يدعه يصحو الى شيء !.

عن انس رضي الله عنه ان جاراً لرسول الله ﷺ فارسياً كان طيب المرق (كناية عن طيب الطعام) فصنع لرسول الله ﷺ ، ثم جاء يدعوه . فقال : وهذه ؟.. لعائشة ، فقال : لا ، فقال رسول الله ﷺ لا ، ثم عاد يدعوه ، فقال رسول الله ﷺ ، وهذه ؟ قال نعم في الثالثة ، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله .

فهذا الحديث لا يدل مما نحن فيه على اكثر من شيء واحد ، وهو ان رسول الله ﷺ اصطحب عائشة معه الى بيت الرجل الفارسي ، وهو كما دلت احاديث كثيرة اخرى على اصطحاب الصحابة نسائهم الى المساجد ، وكما دلت احاديث اخرى على زيارة كثير من الصحابة لامهات المؤمنين عامة وعائشة رضي الله عنها خاصة ، من اجل رواية الحديث او اخذ الفتاوى او السؤال عن بعض احوال النبي عليه الصلاة والسلام . فأي تعارض ترين بين هذه الدلالة التي لا اشكال فيها ولا نزاع ، والحكم الإلهي القاضي باحتجاب المرأة عن الرجال والآمر لهم اذا جاءوا يسألونهن حاجة ان يسألوهن من وراء حجاب !.

اما ان يرفض رسول الله ﷺ الإستجابة لدعوة الفارسي الا ان تصحبه عائشة رضي الله عنها ، فشيء ثابت لا اشكال فيه ولا منقصة . بل ان فيه الصورة البارزة الحية لجميل خلقه ﷺ مع اهله وعظيم رحمته وعاطفته تجاهها . فقد كانت تمر الايام الطويلة المتتابعة ولا يستوقد في بيت رسول الله نار لطعام ، وانما طعامه عليه الصلاة والسلام وطعام اهله ـ كما تروي عائشة ـ الاسودان : التمر والماء

رسول الله ﷺ اهله ـ وهي انما ترضى بالشظف اسوة به ـ ليجلس من ورائها الى مائدة شهية عامرة عند جاره الفارسي ؟! .. ما كان خلق رسول الله ﷺ ليرضى بذلك !.. وما رضي ذلك ايضاً عندما دعاه جابر ـ وقد كان الجوع يمتص أحشاءه وأحشاء سائر اصحابه عند حفر الخندق ـ الى عناق صغير لا يملؤ قصعة ثريد ، حتى استاق امامه كافـــة اصحابه ، فقدمهم على نفسه ، وثرد اللحم امامهم بيده ، واتخذ مكانه ، خادماً لهم ، خلف قدر الطعام ، لا يرضى ان يأكل حتى يستوثق انهم قـــد

شبعوا ، وان الحجر لمعصوب من الجوع على بطنه !..

وأما ان يكون في ذلك ما يدل على ان عائشة رضي الله عنها ذهبت مع رسول الله متبرجة ، وجلست امام الفارسي سافرة واختلطت (العائلات) على نحو ما يتم اليوم في الاسر الإسلامية التي لا سلطان لدين الله على حياتها – فهو شيء لا سبيل في الحديث لاي دلالة عليه . وحمل الحديث على هذا المعنى كحمل الشرق على ان يولد من داخله الغرب !..

ان الذي يفسر الكيفية التي ذهبت عليها عائشة مع رسول الله ﷺ اذ ذاك ، انما هو قول الله عز وجل : (ولا تبرّجن تبرج الجاهليـــة الاولى) وقوله جل جلاله (واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) وقوله تعالى (ولا يبدين زينتهن الا لآبائهـــن او آباء بعولتهن ..) الآية ..

والذي يفسر ويشرح هذه الكيفية ايضاً هو الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن انس بن مالك رضي الله عنه

ان ام سليم صنعت حيسا (نوع من الحلوى) وارسلت به الى رسول الله ﷺ بمناسبة زواجه من زينب بنت جحش ، فدعا رسول الله ﷺ اصحابه ، وجلسوا يأكلون ويتحدثون ورسول الله ﷺ جالس ، وزوجته مولية وجهها الى الحائط الى ان خرجوا .

ومن العبث العجيب بدين الله تعالى ان نتعامى عن هذه النصوص التي تشرح لنا الحالة التي ذهبت عليها عائشة مع النبي عليه الصلاة والسلام الى دار الجار الفارسي ، لنعتمد في شرحها على خيال من يتخيل انها انما ذهبت كما تذهب بنت الحضارة الغربية اليوم : متزينة متبرجة متعطرة !.. ثم نجعل من هذا الخيال حجة دامغة ، ثم نبني عليها شريعة ثابتة ، ثم ننسخ بها كافة النصوص القرآنية والاحاديث النبوية التي استعرضناها معاً قبل قليل !.

فتلك هي قصة الشبهة الاولى . وما هي بشبهة ولكنها تضليل رخيص .

الشبهة الثانية ما رواه البخاري عن سهل ، قال لما عرس[1] ابو أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ واصحابه ، فما صنع لهم طعاماً ولا قربه اليهم الا امرأته ام أسيد ، بلت تمرات في تور (اناء) من حجارة ، من الليل ، فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام اماثته له اي (هرسته بيدها) فسقته ، تتحفه بذلك .

فلقد تعلق بهذا الحديث ايضاً من اشتهى ان لا يكون على المرأة من حرج في ان تستقبل الضيوف من اصدقاء زوجها او اهلها فتخدمهم بنفسها وتقدم لهم الضيافة والشراب بيدها وتجالسهم للتفكه والحديث ، على نحو ما هو واقع في كثير من البيوتات التي انحسرت عنها ظلال الفضيلة وسلطان الدين .

وانت تعلمين ان المنكر في الامر ليس عبارة عن تقديم المرأة فنجان القهوة الى الضيوف ، وانما المنكر ما قد يصاحب

(١) قال في الفتح : كذا وقع بتشديد الراء ، وقد أنكره الجوهري ، فقال : أعرس ، ولا تقل عرس .

ذلك من العري والزينة اللتين تظهر المرأة بهما ، وليس الشأن فيما تعارف عليه الناس اليوم في تقديم فنجان القهوة ، وانما الشأن كل الشأن في المظهر الخلاب الذي تتقدم به المرأة مع فنجان القهوة !.

ولقد علم الفقهاء وعلماء المسلمين جميعاً ، انه لا ضير في ان تتقدم المرأة بسترها الإسلامي الكامل الذي شرحنا حدوده فتقدم الى ضيوف في دارها طعاماً او شراباً تكرمهم به ، وزوجها او قريبها جالس.

وهذا هو الذي وقع من امرأة ابي أسيد في حفل عرسه . فقد قال ابن حجر عند شرح هذا الحديث : ولا يخفى ان محل ذلك عند أمن الفتنة ومراعاة ما يجب عليها من الستر [1].

وليس كثيراً في حفل يحضره رسول الله ﷺ ، ان تكرم العروس مقدم رسول الله ﷺ ، فتتولى بنفسها

(١) فتح الباري : ٩/٢٠٠ .

اكرام رسول الله ﷺ وتقديم الضيافة اليه . وليس في ذلك ما يشينها ، كما انه ليس فيه ما يلصق به عليه الصلاة والسلام اي منقصة .

انما الشين واقع ، فيما لو عثر المتعلق بهذا الحديث على انها برزت امام الرجال سافرة بادية الجسم والزينة ، وهذا ما لا يمكن ان يعثر عليه ، وما لا دليل له في الحديث .

لقد ظهر الكثير من نساء الصحابة في صفوف القتال يضمدن الجرحى ويسقين العطاش ، ومنهن ام سليم رضي الله عنها ، فمن قال ان ذلك دليل اذاً على ان المرأة لا حرج عليها في ان تختلط بالرجال كما تشاء وان تتزين امامهم كما تريد . بل لقد قال كثير من الفقهاء ان للمرأة ان تتولى منصب القضاء فيما يحق لها الشهادة فيه ، وقالوا ان لها ان تتولى منصب الفتوى . فمنذا الذي يستطيع ان يزعم ـ اعتماداً على اثارة من علم ـ بأن للمرأة اذاً ان تتحرر من قيد الستر والحجاب ، وان تأخذ حظها من متعة الزينة والمظهر امام من تشاء ؟!.

قامت العروس بنفسها ، تقدم الشراب الى رسول الله . اذاً فللمرأة ان تعرض زينتها ومفاتنها امام الرجال ! .. هل هذا إلا كمن يقول : لقد شرع الله التجارة بالمال والسعي في الارض من اجل الرزق ، اذاً فللتاجر ان يرابي ويغش ، وان يخدع ويغبن ! .. ومنذا الذي عرف الإسلام ثم لم يعرف انه قد جمع للناس اطراف المصالح كلها عندما شرع لهم السبيل اليها ، صافية من كدورات الشر ، خالية من بواعث الفساد مكلوءة بقيود التحذير من الانحراف ؟

هل يريد صاحب هذه الشبهة من الشارع الحكيم جل جلاله ، ان يجعل من المرأة رجساً لا تسير في طريق ، ولا تعالج مشكلة ، ولا تتعاون مع الرجل في امر ، وعندئذ فقط يفهم معنى قوله : ولا يبدين زينتهن ؟ .. اذاً فأين هو من ابرز مزية عظمى للاسلام ، اذ تناول من شؤون الناس واحوالهم كل ما فيه مصلحة حقيقية لدين او حياة او عقل او نسل او مال ، فشرعه وندب اليه ، وشذب عنه كل ما قد علق او اتصل به من اسباب الشر والفساد ،

دون ان يترك سبيلاً لتأثير احدهما على الآخر ، اذا امكن الفصل بينهما وتيسر للانسان ان يختار منهما ما يشاء ؟ .

انها ليست شبهة تحتاج الى بحث ، ولكنهـــا ـ كما ترين ـ شبكة صياد لا تحتاجين معها الا الى حذر واتقاء

★ ★ ★

الشبهة الثالثة : ان في شهيرات نساء الاسلام ، على اختلاف طبقاتهن ، كثيراً ممن لم يضربن على وجوههـــن الحجاب ، رغم ما عرفن به ، من شدة الاختلاط بالرجال ،

ولقد عمد المروجون لهذه الشبهة الى التاريخ وكتب التراجم ، ينقبون فيها ، بحثاً عن مثل هؤلاء النساء ، حيث التقطوا اسماء عدد من النساء لم يكنَّ يبالين ـ فيما نقلته الاخبار عنهن ـ ان يظهرن سافرات امام الرجال ، وان يلتقين معهم في ندوات علمية وادبية دون اي تحرز او تحرج . فذكروا منهن عائشة بنت طلحة التي لم تكن تستر وجهها عن احد مطلقاً ، والسيدة سكينة بنت الحسين التي كان لها مجلسها وندوتها الادبية التي كان يلتقي فيها

صفوة الادباء والشعراء ، وهند بنت النعمان بن بشير التي كانت تبرز في كثير من المناسبات امام الرجال سافرة الوجه ، والسيدة زوجة عبد الملك بن مروان امير المؤمنين، والسيدة خرقاء العامرية وفاطمة بنتها اللتان كان لهما مجلسهما المشهود اثناء موسم الحج ، حتى أحبها ذو الرمة وانشد فيها من عيون روائعه الشعرية ، وولادة عشيقة ابن زيدون الذي كان يغشى منتداها الادبي المشهور !.

بأخبار مثل هؤلاء النساء ، احتج صاحب هذه الشبهة على ان الشريعة الاسلامية لم تقيد المرأة بأي ستر او احتجاب ولم تمنعها من ان تخالط الرجال في مجالسهم وانديتهم دون اي فارق بينها وبينهم !.

فأي مصدر من مصادر الشريعة تعتبر مثل هذه الاخبار ؟.. أهي كتاب ، أم سنة ، أم اجماع ، أم قياس .. وما علمنا وراء هذه المصادر الاربعة دليلا يثبت به تشريع !..

واذا كانت تراجم آحاد الناس وأحوالهم دليلاً شرعياً

متبعاً ، فما لنا لا نقول بحل شرب الخمر وقد وجد في الصحابة والتابعين وخلفاء المسلمين من شربها ؟.. بل ما لنا لا نقول بحل الفاحشة وقد وجد في الصحابة والتابعين ومن بعدهم من قد ارتكبها ؟..

وما لنا نردد ما قاله رسول الله ﷺ : كل بني آدم خطاء ، اذا كنا نعد اخطاء بني آدم حجة وتشريعاً ؟.

إن من بديهيات الإسلام ان تصرفات احد من الناس لا تعتبر دليل تشريع الا ان يكون رسولاً أُوحي اليه بشرع من الله عز وجل ، فان كلاً من اعماله واقواله وصفاته وإقراره يعتبر مصدر تشريع ، فهل كان دؤلاء النساء اللاتي التقط صاحب الشبهة اخبارهن ، رسولات من الله الى الناس ؟

ومهما يكن من شأنهن في نظر صاحب الشبهة ، فقد كان الى جانب كل منهن سواد عظيم من النساء المتحجبات الساترات لزينتهن عن سائر الأجانب من الرجال . فلماذا لا يكون حال هذه الجمهرة العظيمة هي الحجة في هذا

الشأن بدلاً من حال اولئك القلة اللاتي جمعهن صاحب الشبهة من شتى الطبقات والعصور ؟

اجل .. لقد كانت عائشة بنت طلحة تأبى ان تحجب وجهها ، وقد كان زوجها مصعب بن الزبير يلومها على ذلك بين الحين والآخر . وإنا لنرى في انكار مصعب عليها من الدليل على الحق الذي نقول ، اضعاف ما في تصرفها من الدليل على الباطل الذي يروجون له .

ولقد كانت فاطمة العامرية ايضاً ـ كما قالوا ـ تكشف وجهها امام الرجال حتى افتتن بها ذو الرمة وصاغ كثيراً من قصائده تغزلاً بها او تشوقاً اليها ، ولقد كانت ولادة ايضاً لا تبالي ان تستقبل الأدباء والشعراء في منتداها الأدبي بادية الوجه والمحاسن ، حتى تولّه بها ابن زيدون . ولكنا نرى والله في افتتان ذي الرمة بالأولى وتولّه ابن زيدون بالثانية من الدليل على الحق الذي شرعه أحكم الحاكمين و اضعاف ما في استهتار كل منهما من الدليل على ما يشتهيه المبطلون !..ان صح بينهما وجه للمقارنة والمفاضلة الشكلية !.

وحصيلة هذا الكلام كله ، ان الدليل الشرعي انما هو آية من كتاب الله او حديث عن رسول الله او اجماع اهل الحل والعقد من المسلمين او قياس على حكم ثبت بدليل من تلك الأدلة الثلاثة . فهذه الأدلة هي التي تتحكم في تصرفات الناس وشؤونهم ، وليست تصرفات الناس هي التي تتحكم فيها بأي نسخ او تحوير او تفسير .

وهذا كلام بين مفهوم لا يغيب الا عمن كان صاحب غرض او عصبية او هوى ، فهو يتجاهل البدهيات كي يقفز من فوقها الى الأمر الذي يبغيه والهوى الذي يشتهيه .

★ ★ ★

الشبهة الرابعة دليل اجتهادي ، يعتمد في الشكل ـ على قاعدة أصولية مشهورة وهي (تتبدل الأحكام بتبدل الأزمان) [١] ويسير في النظر والإجتهاد على الطريقة التالية :

لم تكن الحياة فيما مضى قائمة على اساس التصنيع

---

(١) هذه القاعدة هي كل ما يحفظه ويعرفه المفتونون بالحياة العصرية الجديدة من قواعد الشريعة الاسلامية وأصولها .

وسلطان الآلة ، فلم تكن الحاجة ماسة الى تكاثر الايدي العاملة وتضافرها ، وقد كان التشريع ـ سواء فيما يتعلق بشأن المرأة وغيرها ـ متفقاً مع طبيعة تلك الحياة ، ومتسقاً مع مقتضيات تلك المرحلة الحضارية ، فلم يكن ثمة ما يدعو الى خروج المرأة من بيتها الا في حالات اضطرارية نادرة .

ولكن الحياة لما تطورت بعد ذلك تطورها الهائل العجيب ، واصبحت الآلة محور النمو الحضاري عند سائر الامم والشعوب ، وغدا التصنيع ضرورة لا بد منها لمقاومة اسباب التخلف ، اصبحنا بحاجة ماسة الى حشد كل يد عاملة والاستفادة من كل طاقة انسانية للحاق بحركة الآلة وادارة عجلة التصنيع . وانما يكون ذلك باشتراك المرأة التي هي نصف المجتمع مع الرجل في قيادة هذه الحياة الجديدة والاستفادة من طبيعتها . ولا يمكن ان تشترك المرأة معه في شيء من مرافق الحياة الجديدة وهي مقيدة بقيود الستر والحجاب . وهكذا تبدل الزمن الذي نشأ في ظله الحكم الشرعي السابق ، فاقتضى الامر ان يتبدل الحكم

معه تطبيقاً لقاعدة « تتبدل الاحكام بتبدل الازمان » .

فهذه شبهة اجتهادية يرددها اليوم كثير من الناس ، وبعضهم يدرك وجه المغالطة فيها ، ولكنه يخادع المسلمين بها ، وبعضهم يحسبها دليلاً شرعياً صحيحاً فيمضي يحتج بها ويفتي بين الناس على اساسها !..

والحقيقة انه لا القاعدة الاصولية التي يحتجون بها ذات صلة او علاقة بهذا الموضوع ، ولا التطور الصناعي المزعوم مستوجب لكل هذا الذي يدعون .

مثل هذا الكلام يقال في أمة تشكو مصانعها الوفيرة العامرة الفراغ من الايدي التي تديرها ، او في أُمة تبحث فيما بينها فلا تجد شاباً واحداً يتسكع على ناصية شارع او يجتر البطالة في زاوية احد المقاهي . ومعلوم ان مثل هذه الامة لم تظهر بعد حتى في دول الدرجة الاولى بهذا الاعتبار.

يظن هؤلاء الناس ان المرأة في اوربا وامريكا انما تشترك مع الرجل في العمل من اجل ان يتعاونا للحاق

بالآلة التي لا تتوقف ، فيحلو لهم ـ بناء على هذا الوهم ـ ان يستعيضوا عن التخلص الحقيقي من واقع ما يعانونه من التخلف والعجز ، بمجرد المحاكاة والتقليد في امر تهواه النفوس وتركن اليه النوازع الجنسية عند الإنسان . فيمضون يسلكون الى التقدم الصناعي او الحضاري هذا السبيل الشهواني وحده ، وكأنهم قد فتحوا بذلك امامهم مغاليق الدنيا كلها !.

وبدهي ان هذا الظن خطأ من اساسه .

ان اشتراك المرأة مع الرجل في مجالات الكسب ، في اوربا ونحوها ، يرجع الى دافعين :

اولهما : تفاقم سلطان الإباحية والمتعة الجنسية ، حتى لم يعد يصبر الرجل عن المرأة والعكس ، في اي طور من اطوار العمل او شأن من شؤون الحياة . فالرجل حريص على ان تكون المرأة الى جانبه في الوظيفة التي يقوم بها والمعمل الذي يشتغل فيه ، والمتجر الذي يتردد

عليه ، والمطعم الذي يغشاه ، والشارع الذي يسير فيه . وهو بطبيعته وضع شاذ يتسبب في شقاء الجنسين اكثر مما يتسبب في إسعادهما .

ثانيهما : دافع الشح والتكالب المادي ، والرجل الغربي يعاني اليوم من هذا الشح الشيء المذهل العجيب !.. فرب الاسرة ، لا يرى ما يدعوه للانفاق على ابنته ، طالما يعتقد انها قادرة على ان تذهب فتشتغل في اي وظيفة او معمل او مطعم او فندق !. وكذلك الزوج ، لا يرى ما يدعوه للانفاق على الزوجة التي بوسعها ان تنطلق فتأتي بالمال من اي مكان .

وهكذا ، فإن البذخ الشديد من جانب ، يستلزم الشح والبخل الشديدين من جانب آخر !.. لان اولهما لا يأخذ حظه إلا بالاعتماد على الثاني .

إن على مروجي هذه الشبهة ان يدركوا ما يمكن ان يدركه كل مفكر ، من ان انصهار الغرب في أتون المادة حول الذات الإنسانية بكل خصائصها واشواقها ونوازعها الخلقية الى ما يشبه كتلاً ممسوخة من المادة !. فهي تتحرك

وتذهب وتجيء في فلك المادة وسلطانها ، فلا جرم ان كان ما يسمى بالاسرة هناك قد انصهر في ذلك الاتون أيما انصهار . فأي قيمة او معنى يبقى لذات الاسرة وتماسكها عندهم ، اذا كان انتشارها يعني تحول كل جزء من اجزائها الى عمل آلي يحقق رقماً مالياً معيناً !.

وهكذا ، فالاسرة في اوربا عنوان لا مسمى له على الصعيد الغالب اليوم ، وقد انعكست آثار ذلك على مجتمعاتها العامة . وباتت تنذرها بدمار مذهل رهيب .

وسبحان من قضى ان يعيد التاريخ نفسه !..

فلقد كان هلاك الرومان ، بسبب تفاقم الإباحية وامر الجنس ، واستتبع ذلك نفس النتيجة التي تعاني اوربا منها اليوم : الشح الشديد من جانب ، والبذخ الشديد من جانب آخر . ولقد اطلق فيلسوفها الحكيم (كانون) صيحة النذير دون اي جدوى وذلك حين قال :

(يا أيها الرومان ، لقد سمعتموني كثيراً ما أشكو

من إسراف الرجال والنساء والعامة والمشترعين ايضا ..
ولقد سمعتموني كثيراً ما اقول : ان الجمهورية مصابة بداءين متناقضين : الشح والبذخ !.. وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأساً على عقب)[1] .

فهذه هي دوافع اشتراك المرأة مع الرجل في مختلف مجالات الكسب والعمل ، يعلمها كل متبصر عاقل . وليست شيئاً مما يسمى بضرورة اللحاق بعجلة الآلة والسيطرة على حياة التصنيع وما الى ذلك .

واذا كانت هذه هي الدوافع الحقيقية ، فما لنا نجن وراء تقليد اصحابها ، وليس هذا فحسب ، بل نرفع الرأس بذلك عالياً ، متخيلين أنا لما قلدناهم في هذا الامر اصبحنا مثلهم في كل نهضة ينهضونها وفي كل تقدم يحرزونه !..

إن اهم الحكم التي اقتضت تشريع آداب المرأة في ديننا الإسلامي ، انما هو المحافظة على قدسية الاسرة وكيانها فكيف نصطنع الاجتهاد في دين الله والاعتماد على قواعد

---

(١) دائرة المعارف لفريد وجدي : ٨/٦١٨

شرعية فيه ، ابتغاء الوصول الى نهاية يتحطم فيها كيان الاسرة ، وتتهاوى قدسيتها ، وتضيع فيها عن رشد أخلاقيتها الفاضلة ؟.

★ ★ ★

فهذه هي الشبهات التي يتمسك بها من يضيق ذرعاً بحجاب المرأة وسترها ، ولا اظن ان ثمة مزيداً عليها ولو علمت انه قد يوجد مزيد ، لبحثت عنه ثم عرضته للنظر والتقويم .

وقد رأيت ان هذه الشبهات كلها ، ان هي الا حواجز مصطنعة لإبعاد الحكم الإسلامي الواضح الصريح عن مجال الرؤية السليمة الصافية ، يعلم هذا حتى اولئك الذين يروجون هذه الشبهات ويحتجون بها ، ولكنهم يراقبون ألسنتهم ان لا تنطق بشيء من كوامن هذا العلم . فهم في ذلك كما قال الله عز وجل عن طائفة من اشباههم :
(وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً ..) [1]

(١) النمل : ١٤

ولو انا جارينا هؤلاء الذين يدندنون بشبههم هذه في كل معترك ومجال ، وفرضناها حججاً سليمة ـ وما هي كذلك وانهم ليعلمون انها ليست كذلك ـ فإنها لا تؤيّد شيئاً من هذا الواقع المنحرف الرهيب الذي انساقت اليه جمهرة كبرى من الفتيات والنساء المسلمات .

اي شبهة من هذه الشبهات المختلفة تجيز للفتاة ـ على تخيل صحتها ـ ان تخرج الى الشارع بادية النحر والذراعين والفخذين !!. ام اي شبهة منها تفتي المرأة المسلمة بأن تسامر ضيوفها وتكرمهم بما لديها من فنون الزينة والإغراء ، كما هو الواقع في كثير من البيوتات المسلمة اليوم ؟!.

إذاً ، فإن الامر الذي نشكو منه اليوم ، انحراف ديني واجتماعي خطير لا مجال لإنكاره والتردد فيه ، ولا علاقة لهذه الشبه ـ مهما كانت ـ بتسويغه .

ولا ريب ان هذا الواقع الرهيب ذو خطر اجلى وأشد من خطر الفتاة المتسترة في نظر من يرى ان تسترها شيء

زائد على ما قد جاء به الشرع . لا يماري في هذه الحقيقة إلا مكابر من طراز نادر وعجيب .

وإذاً فلنتساءل : أيهما تعتبر مشكلة محتاجة منا الى معالجة وحل ؟ المرأة التي تحتاط لدينها وتبالغ في تحقيق مرضاة ربها فتفيض على جسمها مزيداً من الستر وتفيض منه على وجهها وسائر اطرافها ، مخافة ان يتأملها ناظر بشهوة فتكون هي المسببة له بذلك فتبوء بإثمها وإثمه ، ام المرأة التي تتأول حجاب الجسم بعفة النفس وتتخذ من كشف بعض شهيرات النساء عن وجوههن دليلاً على زيف الحجاب من اساسه فتنطلق بين الرجال عارضة من جسمها كل ما فيه زينة وفتنة واغراء ، دون ان تتقيد من ذلك كله بحد الا ما تفرضه (الموديلات) المتناسخة التي ترعاها دور الأزياء الاوربية في مظاهرها واليهودية الصهيونية في باطنها ؟!.

اجل ، ايتها الاخت المفكرة : ايهما تعتبر مشكلة فكرية واجتماعية وخلقية تحتاج الى اهتمام وحل ؟..

أليس من اعجب العجب ان نجد طائفة من كتابنا

ـ وهم مسلمون بألسنتهم ـ وكثيراً من مجلاتنا ـ وهي مطبوعة بطابع التوحيد والإيمان ـ تجعل من الحيطة في دين الله والاهتمام الصادق بشرع الله مشكلة المشكلات وكبرى المصائب ، فتجرد لها الاقلام وتستعين لحلها بالصور المغرية آناً والساخرة آناً آخر ، وبالإيحاءات والمعالجات النفسية المختلفة ، كل ذلك من اجل ان طائفة من الفتيات المسلمات ـ وهن قلة على كل حال ـ دفعتهن الحيطة في دين الله او التمسك بشرع الله ، فأسدلن الحجاب على وجوههن او على ما سواها من بقية اعضاء الجسم ، دون ان يشفع للواحدة منهن انها قد تساهم مع ذلك في خدمة مجتمعها ورعاية أمتها ، وتقوم في مجال النشاط الثقافي والاجتماعي الصحيح ، بما لا تقوم به الاخريات ـ ثم لا يستشعر هؤلاء الكاتبون او هذه المجلات ، في المقابل ، بأي مشكلة او خطيئة تحتاج الى معالجة وتقويم في مظهر هذه الكثرة الكاثرة من النساء والفتيات اللاتي وقعن أسيرات تحت حكم بيوت الازياء الحديثة التي تعمل جاهدة على

ان تتحكم بلباس المرأة في العالم الاوربي والامريكي عامة وفي هذا الشرق الإسلامي خاصة !!..

أليس من اعجب العجب ان نرى طائفة من الكتاب ـ وهم مسلمون بألسنتهم ـ يتعلقون بما قد يعثرون عليه من الوقائع الفردية لحال بعض نساء التاريخ الإسلامي ، ليسوغوا به هذا الواقع الاليم الذي لا يقره دين سماوي صحيح ولا خلق انساني سليم ، ولا ينطوي إلا على شر خطير ، طالما تنادى المصلحون لمعالجته وغالط بعضهم بعضاً في الاشارة الى مصدره ـ ثم لا يعرجون على شيء من حكم الله الواضح الصريح في كتابه وعلى لسان نبيه والمجمع عليه عند أئمة المسلمين ، ليتخذوا منه وسيلة الى اصلاح شيء من هذا الفساد العظيم ، وتخفيف قدر ولو يسير من بلاء هذا التعري الذي انجرفت اليه الاسرة المسلمة دون ان تجد في طريقها اي مقاومة ولا تنبيه !..

عشرات الابحاث والمقالات تنشر بين الحين والآخر في الغمز واللمز والسخرية من بقايا حجاب الفتاة المسلمة ،

وهو لم يقدم الى الناس الا الفائدة والخير ، ولا يكتب في مقابلها بحث واحد يلفت فيه النظر الى ضرام هذه النار التي تتقد في كل بيت وتندلق الى كل شارع ومجتمع ، وهو لم يقدم الى جيل هذه الامة ، بل الى شباب العالم كله ، الا اخطر اسباب الهلاك والدمار !!.

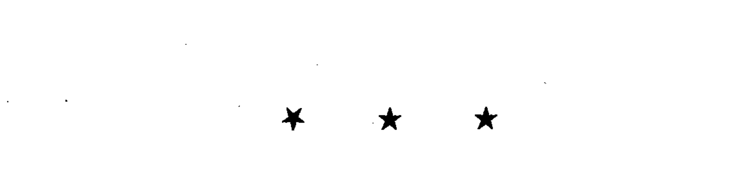

أقوال لا رصيد لها

ومهما يكن من امر هذه الشبه الباطلة ، فإن لاعداء هذا الدين حججاً واقوالاً اخرى يتأملون ان يدعموا بها باطلهم !.. ولكنها اقوال لا رصيد لها من المعنى الذي يمكن ان يتقبله العقل السليم . انها من نوع ما يسميه علماء المنطق بالسفسطة التي لها شكل الحجة وليست لها حقيقتها !... وهي اقوال يراد بها اخضاع النفس اكثر مما يراد بها اقناع العقل .

وما اكثر ما ضلت فتيات مؤمنات ، عن رشد العقل ، بهذه الاقوال المرصوفة الخادعة ، وما اكثر ما تبين لهن انها اباطيل خادعة ولكن ذلك لم يتبين لهن الا

بعد ان تجاوز الامر بهن الى نهاية لا طاقة لهن على الرجوع عنها،بل الى اودية سحيقة لا سبيل لهن الىالتسامي فوقها!.

واني ـ أيتها الاخت المؤمنة ـ سأعرض لك جميع هذه الاقوال بزخرفها الخادع ، ثم اجردها امامك من زيفها اللصيق لتري عظيم ما فيها من الخداع والتضليل ، حتى اذا تبين لك ذلك ، كنت اقدر على الصمود في وجه الباطل الذي تتعرضين له وأكثر ثباتاً وصلابة على الحق الذي تعتزين به

★ ★ ★

يقولون لك : ان عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها ، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها ، وكم من فتاة محتجبة عن الرجال في ظاهرها ، وهي تمارس معهم البغي والفجور في سلوكها ، وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً الى نفسها او سلوكها .

واقول لك : ان هذا صحيح . فما كان للثياب ان ان تنسج لصاحبها عفة مفقودة ولاان تخلق له استقامة معدومة ،

ورب فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها . ولكن من هذا الذي زعم ان الله انما شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها او العفة في اخلاقها ؟.. ومن هذا الذي زعم ان الحجاب انما شرعه الله ليكون اعلاناً بأن كل من لم تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال ؟..

ان الله جل جلاله انما فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع ابصارهم عليها ، لا حفظاً على عفتها من الاعين التي تراها !.. ولئن كانت تشترك معهم هي الاخرى في هذه الفائدة في كثير من الاحيان ، فإن فائدتهم من ذلك اعظم واخطر . والا فهل يقول عاقل ـ تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة ـ ان للفتاة ان تبرز عارية امام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة اخلاقها وصدق استقامتها ؟!..

ان بلاء الرجال بما تقع عليه ابصارهم من مغريات النساء وفتنتهن ، هو المشكلة التي احوجت المجتمع الى حل ، فكان في شرع الله ما تكفل به على افضل وجه . وبلاء

الرجال ، اذا لم يجد في سبيله هذا الحل الالهي ، ما من ريب سيتجاوز بالسوء الى النساء ايضاً . ولا يغني عن الامر شيئاً ان تعتصم المرأة المتبرجة عندئذ باستقامة في سلوكها او عفة في نفسها . فإن في ضرام ذلك البلاء الهائج في نفوس الرجال ما قد يتغلب على كل استقامة او عفة تتمتع بها المرأة اذ تعرض من فنون اثارتها وفتنتها امامهم .

★ ★ ★

ويقولون لك : انه اذا شاع الاختلاط بين الرجل والمرأة ، تهذبت طباع كل منهما ، وقامت بينهما بسبب ذلك صداقات بريئة لا تتجه الى جنس ولا تنحرف نحو سوء !.. اما اذا ضُرب بينهما بسور من الاحتجاب ، فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما وتغري كلاً منهما بصاحبه !.. فيشيع من ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع !.

واقول لك : صحيح ان مظاهر الاغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع : ولكنها انما تفقد ذلك عند اولئك الذين خاضوا غمارها وجنوا من

ثمارها ، خلال مرحلة طويلة من الزمن ، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها . وبدهي ان ذلك ليس لانهم قد تساموا فوقها،ولكن لانهم قد بشموا بها ولانهم يشبعون كل يوم منها

ان رؤية المناظر والمواقف الجنسية المثيرة في بلدة كالسويد مثلاً ، تعتبر امراً عادياً لا يثير استغراباً ولا استهجاناً بالنسبة لاولئك الذين نشؤوا وعاشوا في تلك الاجواء . فهل يعني ذلك انهم قد تجاوزوا طبيعة التأثر بدواعي الانحراف واسبابه ، فهم لا ينحطون اليها ولا يتأثرون بها ؟!.. اي مجنون من الناس يقول هذا ؟..

كلنا يعلم ان هذا الذي يمر بالمشاهد الجنسية المكشوفة هناك ، غير عابىء بها ولا ملتفت اليها ، قد تجده بعد ساعة يمارس العملية نفسها في مكان آخر . وهكذا فإن عدم الاكتراث والتأثر بمظاهر الاغراء، انما هو نتيجة انتشار اللذة رخيصة في كل مكان ، وليس نتيجة فهم معين او جديد لما قد تبصره عيناه .

والذي يتصور تحقق الزهد في الجنس ، دون ان يكون

نتيجة لانتشاره واباحته ، انما هو كمن يتصور امكان زهد الجائع في الطعام بمجرد ان تتناثر اطباقه الشهية امام عينيه في واجهات المحلات عن يمين الشارع ويساره .

وانما (الصداقة) كلمة يطلقها هؤلاء الناس على تلك الفترات التي يلتقط فيها الاصدقاء أنفاسهم بعد انجراف طويل في ادغال الحيوانية والاباحية المطلقة .

وانها لحقيقة ثابتة يعرفها (الاصدقاء) قبل ان يعرفها الآخرون !..

والكبت !.. ايهما يورث الكبت ؟ : أن يخرج الشاب الى شأنه من وظيفة او عمل او دراسة . فلا تقع عينه على ما يثير شيئاً من كوامن غريزتة . فيعود الى بيته هادىء النفس مستريح البال نشيط الفكر ، ام ان يخرج من بيته فتستقبله مغريات الجنس من كل جانب وصوب وبكل اسلوب وفن ، فتهتاج نفسه وتثور غرائزه ، حتى اذا دنا ليمتع نفسه ويشبع غريزته اصطدم بحواجز القانون ورقابة البوليس وشهامة الزوج او القريب ؟..

اجل .. ايهما يورث الكبت ؟. . لقد سألت هذا

السؤال شاباً جامعياً اعلن امامي عن تقدميته المطلقة ، وتعلل بالكبت والالفـــاظ المشابهة الاخرى ، فغص بالجواب !. ولكني اجبت عنه فقلت : لعلك لا تريد ان تثور على الحجاب والستر فقط ، وانما انت تهدف الى الثورة على ما وضعته الشرائع والقوانين من ضوابط الصلات الجنسية بين الرجل والمرأة ، ابتغاء الوصول الى اباحية مطلقة يشترك فيها الانسان مع اخيه الحيوان تخلصاً من الكبت الذي تتحدث عنه !..

فإذا كان الامر كذلك ، فلا تتحدث عن الحجاب ونقده ، قبل ان تبحث بجرأة ، مـــع الازواج والآباء وشرائع الله وقوانين الارض وفطرة الغيرة الطبيعية عند الانسان ، في مشروعك الحيواني الذي تدعو اليه . حتى اذا استجابوا لك جميعاً ، آن لك حينئذ ان تثور على حجاب لا لزوم اليه محتجاً بما تستعمله من الفاظ الكبت ومرادفاته المحفوظة

★ ★ ★

ويقولون لك : ان حجاب المرأة عائق عن مشاركتها الرجل في نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية ، وانما اولى الخطوات الى اي نشاط فكري او اجتماعي ان تسفر الفتاة عن وجهها وتحطم ما بينها وبين الرجل من حواجز واعتبارات . كما ان اول السبيل للقضاء على ملكاتها واستعداداتها الفكرية والاجتماعية المختلفة ان تحبس نفسها في قفص هذا الحجاب ، وتضع بينها وبين الرجل حاجزاً مما تسميه الستر والآداب !..

وما يتحدث احدهم عن جهل المرأة وتخلفها الا ويجعل من صورة المرأة المحتجبة مظهراً لذلك ، وما يتحدث عن ثقافة المرأة وتقدمها ونشاطها الفكري والاجتماعي الا ويجعل من صورة المرأة العارية او السافرة مظهراً لذلك !.

واقول لك : انني اجزم بأن هذا التلازم المختلق ان هو الا بهتان كبير لا اساس له ولا دليل عليه !..

انني اقرر لك وانا شاهد عيان ـ ان في فتياتنا الجامعيات

متحجبات بحجاب الاسلام ، مستمسكات بحكم الله عز وجل ، وهن اسبق الى النهضة العلمية والثقافية والنشاط الفكري والاجتماعي من سائر زميلاتهن المتحررات .

لقد رأينا الكثير من مظاهر التبذل والعري في افريقيا وبعض جهات اوربا ، وما رايناها تبعث بشيء من سحر النهضة العلمية والنشاط الفكري والثقافي ؟. ولقد راينا ، في مقابل ذلك ، الكثير من مظهر المحافظة على شرع الله وحكمه في المظهر والزينة واللباس ، دون ان ينحط هذا المظهر بصاحباته عن اوج الرقي الفكري والحركة الثقافية الناشطة .

وان كل مطلع على التاريخ ، يعلم ان تاريخنا الاسلامي مليء بالنساء المسلمات اللاتي جمعن بين الاسلام ادباً واحتشاماً وستراً ، وعلماً وثقافة وفكراً . وذلك بدءاً من عصر الصحابة فما دون ذلك ، الى عصرنا الذي نعيش فيه .

ان التخلف له اسبابه ، والتقدم له اسبابه !. واقحام

شريعة الستر والاخلاق في الامر ، خدعة مكشوفة ثقيلة لا تنطلي الا على متخلف عن مستوى الفكر والنظر الحر .

ونحن لا نشك انه قد التقى في بعض الاحيان التخلف الفكري والثقافي عند المرأة بمظهر الستر والصيانة والاحتجاب كشأن المرأة اليوم في بعض اطراف الجزيرة العربيـــة والخليج العربي ، ولكن مما لا شك فيه ان هذا التلاقي لم يكن امراً ضرورياً وليس بينهما اي لزوم حتمي . وانما هو واقع اتفاقي ساعدته ظروف استعمارية وفكرية معينة . وليس اسهل على المصلحين اذا ارادوا الاصلاح الحقيقي ، من ان يفصلوا بين الواقعين بوعي اسلامي سديد ، يؤيد الستر والاحتشام ، ويدفع الى التزود من العلوم والثقافة النافعة ، ويجعل من كل منهما عوناً للآخر .

❋ ❋ ❋

ويقولون لك : ان الفتاة التي تحبس نفسها عن الناس من وراء حجاب ، انما تحرم بذلك شبابها بل حياتها من

سعادة الزواج . فالشاب انما يقبل على الفتاة التي يعجب بها، وانما يعجبه منها ـ قبل كل شيء ـ جمالها وما يتصل بـــه من مظاهر شخصيتها . وأنى له ان يطمئن الى ذلك منها اذا لم يتهيأ له ان يراها ويخلط نفسه بطرف من شأنها وطباعها ؟.. وكيف يتهيأ له ذلك اذا كانت تأبى الاّ ان تحبس نفسها عنه وراء سور البرقع والحجاب ؟.

تلك هي حجة الامهات لباتهن ، تحسب الواحدة منهن انها تجلب الخير بذلك لابنتها ، وتقرب السبيل لها الى اختيار فتى احلامها . ويزيدها في ذلك اندفاعاً اغراءات جنود الشيطان من حولها ، يستغلون لديها هذه الرغبة ، فيزيدون من مخاوفها ان تزيّت ابنتها بلباس الاسلام ، ويدعمون آمالها ان هي تحررت منه وانساحت بين صفوف الشباب تعرض من زينتها عليهم وتخلط نفسها بهم !..

واقول لكِ : انها لخدعة باطلة توحي بعكس الواقع والحقيقة !.. خدعة يصيغها دعاة الباطل على علم ، وتنطلي على افكار الفتيات وامهاتهن جهلاً وخداعاً !..

ولو تاملت الواقع الذي نعيش فيه ، لرأيت نسبة الاقبال على الأسر والفتيات المحافظات للزواج منهن اكثر بما يقارب الضعف من الاقبال على الأسر المتحررة اللاتي يطبقن الوصفة الخادعة التي اغتررن بها . بل ان الزواج - عموماً - يشيع بين الاسر المحافظة المتدينة اكثر مما يشيع بين الاسر الاخرى بنسبة تزيد على الضعف ، يعلم تفصيل ذلك كل من يرجع الى الاحصائيات المفصلة في هذا الشان .

ولاوضح لك الاسباب القريبة والبعيدة لهذه الحقيقة ، حتى تزدادي يقيناً بحكمة الخالق جل جلاله ، وبان الانسان لن يجد مصلحته مكلوءة بعناية وحفظ الا في تطبيق شرع الله عز وجل :

ان الشاب في مجتمعنا ، لا يعدو ان ينتمي الى احد صنفين :

الصنف الاول متدين في الجملة ، فهو متقيد بآداب

الاسلام ومعظم احكامه ولا سيما الاجتماعية منها والبارزة . فالشاب من هذا الصنف لا بد ان يتزوج فيما بين العشرين والثلاثين من عمره ، لا يستثنى من ذلك الا" اصحاب الظروف الاستثنائية الخاصة . والزواج في اعتبار مثل هذا الشاب بمثابة ساعة الافطار للصائم ، يحشد له جميع آماله الدنيوية في الحياة ، ويجعل منه ركيزة سعادته كلها !..

والشاب من هذا الصنف يبحث عن الفتاة كما يحبها ، ولكن ضمن دائرة الستر والصيانة التي آمن بها ونشأ في داخلها . وحتى لو ندت به الظروف عن هذه الدائرة في بعض الاحيان لاسباب مما قد يمتحن به الشاب ، فإنه لا يطمئن لفتاة ستصبح أماً لاولاده الا اذا رأى طابع الدين والستر جلياً واصيلاً في حياتها .

وهذا الشاب لن يصطدم بمشكلة الجهل بشكلها او عدم الاطمئنان الى خلقها ، فإن شريعة الله عز وجل قد حلت له المشكلة عندما شرعت له ، بل امرته امر ارشاد وندب ان ينظر اليها ويكلمها ، حتى اذا شعر من نفسه انه لم

ينل حظاً كافياً في المرة الاولى لمعرفتها وتبين ما ينبغي ان يطمئن اليه منها ، كان له ان يعاود النظر ثانية وثالثة .

الصنف الثاني متفلت عن سلطان الدين واحكامه ، فهو لا يبالي ان يمتع نفسه بحظوظها كلما تسنى له ذلك لا فرق بين ان ينالها من حل او حرام !.. فالشاب من هذا الصنف إن تزوج ، فهو انما يدخر زواجه الى اواسط عهد الكهولة او آخرها . ولن تجد واحداً من هؤلاء تزوج قبل سن الخامسة والثلاثـــين !.. الا ان يكون ذلك لظروف استثنائية نادرة .

والزواج في اعتبار مثل هذا الانسان كرجوع السائح الى داره بعد نزهة استنفدت المتعة فيها كل نشاطـــه وطاقاته، حتى اذا ادركه الملل والجهد ، عاد الى داره يبغي فيها الراحة والهدوء !.. فهو ـ وقد نال من صنوف اللذات مغنماً بدون مغرم ـ انما يريد من الزوجة الآن ان تعينه في راحة ينشدها او قرار يتطلبه ، اكثر من ان يريد

بالزواج متعة يشترك مع الزوجة فيها ، وسعادة يلتقي مع الزوجة على ارتشاقها !..

وما اكثر ما تظاهر بالرغبة في الزواج من قبل ، فانجذبت الفتيات اليه من هنا وهناك ، كل تعرض له ما عندها من زينة ورقة وجمـــال ، على مذهب هؤلاء المخدوعات اللائي يحسبن ان الفتاة لا يمكن ان تعثر على الزوج الذي تبغيه الا في الشارع الذي تتعرى فيه ، فتذوق من هذه وتلك وتيك .. ونال ما يبغيه منهن ـ كما قلنا ـ غنيمة بدون مغرم . اذ تلهى بكل منهن خليلة اليوم ، ثم نبذها وراءه حليلة الغد !..

وبين الرجل والمرأة فارق في التسابق الى حظوظ النفس ، قلما يتبينه الناس ، تكون المرأة هي الخاسرة فيه دائماً !.. اذ المرأة مهما تحللت عن قيود الدين والآداب ، فإنها لا تصل الى قمة سعادتها الا في ظلال بيت تصبح أماً سعيدة فيه . والرجل مهما كان شانه انما تهفو نفسه الى نعيم تصفو لذته عن كدورة الغرامة او المسؤولية او الجهد ،

ولا يفطم نفسه عن التعليق بذلك الا دين يتحكم بمجامع قلبه . فإذا فقد الدين فان الرجل والمرأة يلتقيان على مائدة تكون المرأة دائماً هي الطرف المغلوب فيها !..

وحصيلة هذا الكلام كله ، واقع مشاهد ملموس لا يحتاج لرؤيته الا الى تامل وانتباه . وهو ان نسبة الذين يقبلون على الزواج من الشبان المتدينين تزيد على ضعف نسبة من يقبلون عليه من المتحللين او المتحررين . والمتدينون لا يتزوجون الا في الحجز الصالح ولا يتعلقون الا بجمال زانه خلق وستر ودين . ونتيجة لذلك فان العنوسة لا تشيع ـ في اعم الاحوال ـ الا في الاسر التي شاءت ان تتفلت عن منهج الدين وحكمه وتربيته .

* * *

يا اختي المؤمنة : ان فيما اوضحته لك ما يكفي لاقناعك ـ بالمنطق الذي لا التواء فيه ـ بان اتباع شريعة الله تعالى لا يضمن لك بلوغ مرضاة الله فحسب ، بل هو يضمن لك

الى جانب ذلك تحقيق اسباب سعادتك الدنيوية كلها . والسعادة ليست في تحقيق الخيال الذي تتصورين ، وانما هو في الواقع الذي يورثك الطمانينة ويشيع في حياتك الارتياح والرضى .

اما وقد تبين لك كل ذلك ، فقد آن لك ان تنهضي لاستجابة حكم مولاك العظيم ، وان تصطلحي مع الله عز وجل بعد طول نسيان وتنكّر له ، فتتخذي من صراطه سبيلاً اليه ومن حبه شفيعاً بين يديه .

دعي انتقاد الناس وحسابهم ، فان حساب الله غداً اشد وأعظم !..

ترفعي عن السعي الى مرضاتهم وتحقيق اهوائهم ، فإن التسامي الى مرضاة الله اسعد لك واسلم .

ولسوف ـ تجدين ـ وانت تعزمين على الرجوع الى صراط الله ـ من يحاول ان يرهق مشاعرك تخديراً تحت وطأة هذه (التقاليع) التي احاطت بك كما تحيط خيوط

العنكبوت بضحيتها الحبيسة ، وان يذكرك بفلانة التي كانت تبرز مفاتنها امام الرجال ، وفلانة التي كان لها « صالونها » الأدبي البارز بين الناس !.

واما انا فاذكرك بالحكم الإلهي الواضح الذي نقلته لك بأمانة ، وبهذا الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ إذ يقول :

[صنفان من أُمتي لم أرهما قط : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة (اي كسنام الجمال) لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا] [1] .

ولسوف تجدين ايضاً من يذكرك بجمال هذه الدنيا ومغريات الارتواء من لذائذها وزينتها !. ولكني اذكرك

---

(١) رواه مسلم والامام أحمد .

بخطورة عقباها، وجسامة ما ينتظرك من آثارها ونتائجها ..
أذكرك بيوم الديان ، إن كنت قد آمنت بوجوده ..
اذكرك باليوم الذي يصدق فيه قول الله تعالى وهو يخاطب طائفة كبيرة من الناس : (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)[1] أذكرك بهذا كله فإن ذلك أدعى الى ان تتلمسي لنفسك سعادة الدنيا والآخرة معاً .

ودعيني أذكرك اخيراً ، بان جميع هؤلاء الخادعين إنما ينظرون فيما ينصحون لك بزعمهم الى امر انفسهم وحاجة شهواتهم . ولو اني اردت لنفسي حظها ، لفعلت مثلهم ولانضممت الى حزبهم ، فانا رجل في نفسي من هوى الرجال وشهواتهم مثل الذي عندهم جميعاً . ولكني والله لا أريد ان أبوء باثمي وإثمك يوم القيامة !.. اريد ان

---

(١) الاحقاف : ٢٠ .

تكوني ، باستقامتك على الحق ، حسنة في ميزاني ، وان اكون ، بما اذكرك به من الحق ، حسنة في ميزانك . أريد لي ولك شيئاً أقدس وأسعد من كل شهوة ولذة وهوى !.

أريد لي ولك مرضاة الله .

★ ★ ★

كَلِمَةٌ أَخِيرَة

كلمة اخيرة ، يجب ان اتجه بها الى اللواتي استيقنت أفئدتهن الحق الذي بينته ، غير ان الواحدة منهن تشعر ببعد النقلة بين الواقع الذي تعيش فيه والحق الذي آمنت به ، فتركن آسفة الى وضعها الذي تعيش فيه ، وتعتذر الى الله او الى الناس بانها عاجزة عن مثل هذا القفز البعيد !.

وهكذا فان في الناس طائفة كبيرة من المنحرفين والمنحرفات ، لا يمسكهم على انحرافهم ويمنعهم من السعي الى إصلاح حالهم إلا ما يرونه من بعد الفجوة وعمقها بين الكمال الذي يسمعون عنه والواقع الذي يعيشون فيه .

ولكن هذا التصور خاطىء . فان الفاصل الذي بين الحق والباطل انما يتمثل في الفرق بين أدنى طرف من الباطل واول درجة من درجات الحق ، وفرق ما بينهما لفتة صغيرة وحركة بسيطة .

إن الحق الذي اوضحناه في الصفحات الماضية ، ليس نهاية مستقلة تقبع في قمة السمو والكمال ، ولكنه سلم ذو درجات متقاربة ، تبدأ أولاها عند طرف الباطل الذي تعيشين فيه وتقف الأخيرة عند نهاية الكمال الذي يشدك اليه تشريع الله وحكمه . وانما المطلوب منك ـ بعد ان تنبهت الى الحق وآمنت به ـ ان تتحركي صاعدة في درجاته ، لا ان تقفزي قفزة واحدة الى نهايته !..

اذا كنت لا تملكين من الطاقة والارادة ، او الظروف المساعدة ، ما تفرضين به على نفسك حجاباً سابغاً للجسم والوجه ، فلتفرضي على نفسك ما دون ذلك مما تساعدك عليه الظروف والأحوال ، واذا كنت لا تجدين طاقة كافية لتغيير اي شيء من لباسك وهيئتك مهما كانت منحرفة وبعيدة

عن رضى الله عز وجل ، فلتفرضي على نفسك ما دون ذلك ايضاً من اداء العبادات المفروضة وتلاوة شيء من كتاب الله تعالى بتدبر خـــلال كل صباح ومساء . واذا كنت عاجزة عن الارتباط حتى بهذا القدر من سبيل الاصلاح ، فلتفرضي على نفسك ما دون ذلك ، من استشعار خطورة الحال التي انت فيها والالتجاء الى الله تعالى بقلب صادق واجف ، تسألينه العون والقوة . فان صدق الالتجاء الى الله تعالى ينبوع النصر والتوفيق . وما سار انسان الى الحق بادئاً بخطوة من هذه الخطى ، متجهاً الى الله بصدق وعزم إلا وفقه الله تعالى في السير الى نهاية الطريق والوصول الى مجامع ذلك الحق .

وانما المصيبة كل المصيبة ان تعلمي الحق وتؤمني به ، ثم لا تتجهي اليه بخطوة ولا بعزم ، كأن الامر ليس مما يعنيك في شيء ، او كأن الذي شرع هذا الحق وأمر به لن تطولك يده ولن يبلغ اليك بطشه وسلطانه ، او كأن الآخرة وما فيها اهون من ان يتخلى الانسان في سبيلها عن شيء من امانيه واهوائه !.

مثل هذه الحال يعتبر اعظم سبب لاستمطار غضب الله تعالى والتعجيل بعقوبته . وعقوبة الدنيا لا تتمثل هنا في بلاء عاجل يحيق بالانسان ، وانما تتمثل في انغلاق العقل وقسوة القلب ، فلا يؤثر في احدهما تذكير ولا تخويف ولا تنبيه ، مهما كانت الادلة واضحة والنذر قريبة . حتى اذا جاءه الموت ، تخطفه وهو على هذه الحال ، فينقلب الى الله تعالى وقد تحول انغلاق عقله وقسوة قلبه الى ندم يحرق الكبد ، في وقت لا ينفع فيه الندم ولا رجوع فيه الى الوراء .

وقد عبر الله تعالى عن هذه العقوبة وسببها بقوله : (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها ، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً ، وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذاً ابداً)[1] .

★ ★ ★

(١) الكهف : ٥٧ .

فإذا كنت تؤمنين بالله ، فلا ريب انك تؤمنين بشريعته وباليوم الآخر الذي هو يوم الحساب والجزاء .

وان من مستلزمات هذا الايمان ، ان تضعي الكلام الذي سردته عليك في هذه الرسالة موضع الجد والاهتمام من تفكيرك . حتى اذا ايقنت اني لم اخدعك بباطل من القول ، ولم اضع بين يديك الا الحقيقة الصافية التي يتمثل فيها حكم الله عز وجل ـ كان عليك ان تنهضي الى تطبيق هذا الحكم بالسير في مراحله المتدرجة . فإن رأيت ان حبال الدنيا واهواءها وتقاليد الصديقات والقريبات تشدك الى الخلف وتصدك عن النهوض بأمر الله ، فلا اقل من ان تفيض الحسرة في قلبك من ذلك ، فيسوقك الالم الى باب الله تعالى وأعتاب رحمته لتعرضي له ضعفك وتجأري اليه بالشكوى ان يهبك من لدنه قوة وتوفيقاً وان يمنحك العون لتتحرري عن سلطان نفسك ، وسلطان التقاليد والعادات ، وسلطان الاقارب والصديقات .

اما ان لم ينهض بك الايمان الى هذا ولا الى ذاك ، ولم يتحرك القلب الذي وراء ضلوعك بأي تأثر واهتمام

لكل هذا الذي حدثتك به ـ فلتكوني في شك من ايمانك بوجود الله تعالى ، ولتعلمي انك تسيرين ـ ان استمر بك الحال ـ الى نهاية رهيبة ليس منها مخلص ولا مفر !

ولتعلمي أن سكر هذه الدنيا مهما كان لذيذاً،فيوشك ان تفجأك منها ساعة صحو وانتباه ، وإنها والله لقريبة منك .

ولتعلمي ان مذاقها مهما كان طيباً فإن في نهايتها غصة ستأخذ منك بالحق ، وانها والله لمقبلة اليك

ثم اعلمي انه ما من شاب يبتلى منك اليوم بفتنة تغريه او تشغل له باله ، كان بوسعك ان تجعليه في مأمن منها ، الا اعقبك منها غداً نكال من الله عظيم .

فاذكري في آخر هذه الرسالة ما قد نبهتك اليه في اولها ، من ان المرأة في حياة الرجل اخطر ابتلاء دنيوي له على الاطلاق ، فاجعلي من تقوى الله تعالى في سلوكك ، عوناً للرجل على السعي في سبيل مرضاة الله ، ولا تجعلي من الامعان في معصية الله عوناً له على السير في طريق الشيطان.

والله المستعان في الهداية والتوفيق .